444

الشبح

A.M.

http://www.wahetelkotob.com/

3 Feb. 2015
Tuse.

مجموعة قصص أجاثا كريستى

ترجمة الأستاذ / محمد عبد المنعم جلال

* جريمة فى العراق
* اللغز المثير
* العميل السرى
* القاتل الغامض
* أدلة الجريمة
* جريمة فوق السحاب
* اختطاف رئيس الوزراء
* الجريمة المعقدة
* قتيل فى المترو
* المتهمة البريئة
* الرسائل السوداء
* الجريمة الكاملة
* التضحية الكبرى
* مغامرات بوارو
* ذكريات
* الساحرة
* سر التوأمين
* أبواب القدر

بالمملكة العربية السعودية
مكتبة دار الشعب
ت : ٤٠١١١٢ الرياض

مكتبة مصر
الإسكندرية: ٤٨١٢٨ / ٤٨١٦٤١٠ فاكس ٤٨٢٠٦٩
ص.ب ٢٠٤ الإسكندرية القاهرة ٢٦١١٢٩

1099

عبد الوهاب مطاوع

الأرض المحترقة

كتابنا القادم

الدار المصرية اللبنانية

أجاثا كريستي

أبواب القدر

ترجمة / محمد عبد المنعم جلال

مكتبة معروف

الإسكندرية: ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦١٢٥ فاكس ٤٨٦٠٠٨٩

القاهرة: ٢٦١٧٢٢٩ ص.ب ١٢٧٠ الإسكندرية

معك هو أنك تعرفين دائما ما تريدين .

- ان ما أعنيه هو أننا نشيخ ونتقدم فى السن .. ولماذا لا نعترف بذلك .. اننا نشكو من الروماتيزم خصوصا عندما نمد أيدينا لكى نضع شيئا فوق الرفوف العليا ، أو عندما نجثو لكى نبحث عن شئ ثم ننهض بعد ذلك . ولكن ليس هذا ما أردت ان أقول .. كنت أريد أن أعبر لك عن مدى سرورى لأننا استطعنا أن نهيئ لنا مسكنا جديدا بعد أن عشرنا على البيت الذى كنا نحلم به دائما ، بعد ادخال بعض الاصلاحات طبعا .

- أى بعد ضم غرفتين فنجعل منهما غرفة واحدة وتشييد الفرندة التى تريدين .

قالت تونس فى لهجة حازمة :

- سيكون الأمر جميلا جدا ، وسوف ترى .

- نعم . وعندما تفرغين لن أعرف البيت الجديد الذى اشتريناه ، أليس كذلك ؟

- أبدا . اننى أؤكد لك أنك سوف تكون مسرورا جدا . ستهنئ نفسك بأن لك زوجة ذكية ذات ذوق سليم .

- أعرف هذا ولكن ما دخل ذلك بكل هذه الكتب ؟

- اننا لم نأت معنا الا بثلاثة صناديق ، ولكن لا تنس أننا اشترينا بعض الأشياء من المالك القديم ، وان كنا لم نشتر منه كل ما كان يصر على أن يبيعنا أياه ، فبعض المفروشات كانت قديمة جدا تتنافى مع الذوق السليم ، ثم اننى لا أتكلم عن التحف ، وأحمد الله على أننا لم نضطر الى شراء كل المفروشات . ومع ذلك فقد اغتبطت جدا عندما رأيت الكتب ، فانها تضم بعض روايات الأطفال المعروفة وأكثرها عزيز على .. مثل اندروكليس والأسد لأندر لانج . كنت فى الثامنة من عمرى عندما قرأته للمرة الأولى .

- وهل كنت تعرفين القراءة وأنت فى الثامنة من عمرك .

- بل كنت أقرأ وأنا فى الخامسة . على أن جميع الأطفال كانوا يحسنون القراءة فى هذه السن فى ذلك العهد . وأعتقد أننا لم نكن بحاجة الى أن نتعلم حقا ، فقد كان أهلنا يقرأون لنا القصص بصوت عال ، وكانت تلك القصص تروق لنا فكلنا نمضى الى المكتبة بعد ذلك ونطلب الكتاب لمطالعته . وعندما كنا نتصفحه كنا نكتشف أن فى مقدورنا قراءته من غير أن تتعلم حروف الهجاء .

- ألم نبتعد عن الموضوع ؟

- قليلا . إننى أحببت اندروكليس والأسد وكان هناك أيضا بين الكتب الأثيرة لدى كتاب " يوم فى ايتون " . بقلم طالب بتلك الجامعة ، وقصص مستمدة من الروايات المشهورة ، ومؤلفات لمسز مولسوورث .. الساعة الدقاقة ومزرعة الرياح الأربع وغيرها

- كل هذا جميل ، ولكن ليس من الضرورى أبدا أن تذكرى لى تفصيلا دقيقا عن مآثرك الأدبية وأنت فى الثامنة من عمرك .

- انما أردت أن أقول أن من المستحيل فى أيامنا هذه الحصول على تلك الكتب . انهم يعيدون طبعها بلا شك ولكن بعد ادخال تنقيحات وتعديلات كثيرة اليها ، ثم انهم يصورونها بغير الصور التى صورت بها من قبل .

- وهل هذا هو السبب فى أنك آثرت شراء هذه ؟

- نعم . ثم اننى حصلت عليها بثمن بخس ، ولكن اذا أضفناها الى الكتب التى لدى من قبل فاننى أخشى أن لا أجد مكانا كافيا لها . ألا أجد فى مكتبتك أنت مكانا لها ؟

- كلا . ان مكتبتى لم تعد تكفى كتبى أنا .

- تنهدت توبنس وقالت :

- يا الهى ! .. ماذا نفعل ؟ .. هل تظن انه يجب أن نبنى غرفة اضافية ؟

- كلا طبعا . يجب أن نقتصد . لا تنسى أن هذا ما قررناه أمس .

- كان هذا بالأمس . ان الوقت يغير الأمور . سأبدا بوضع الكتب التى لا أستطيع الاستغناء عنها . أما الكتب الأخرى فلا ريب أنه توجد مستشفى أو معهد يرضى أن يأخذها .

- يمكننا أن نبيعها .

- انها ليست من النوع الذى يحب المرء اقتناءه اليوم . ثم انه ليست لها أية قيمة تجارية .

- وما أدراك . ربما نجد بينها طبعة قديمة نفدت تتسبب فى اسعاد أحد بائعى الكتب .

- يجب أن نبوبها ونرتبها ثم نفحصها لكى نرى اذا كانت تضم كتبا أحب الاحتفاظ بها .. ككتب المغامرات وقصص الأطفال التى كنا نقرأها لديبورا عندما كانت صغيرة .. هل تذكر ؟

- أظن أنك ترهقين نفسك الآن .. يجب أن تستريحى قليلا .

- سوف أفعل هذا بلا ريب .. ولكننى أريد أن أفرغ من ذلك الجانب أولا .

- سأساعدك .

تقدم تومى وأمال صندوق الكتب قليا وأخذ بعضا منها وراح يضعها فوق الرف وقال :

- اننى أضعها طبقا لأحجامها .. أليس كذلك ؟ .. هذا أفضل .

- أوه .. ولكننى لا أحب ذلك .

- يمكننا أن نتركها هكذا مؤقتا ثم نبوبها طبقا لأنواعها فى وقت آخر .. فى يوم ممطر لا نجد فيه ما نفعله مثلا .

- المزعج هو اننا نجد دائما ما نفعله .

- لم يبق غير هذا الجانب من الرف العلوى .. ناوليني هذا المقعد . أرجو أن يكون متينا وان يتحمل ثقلى .

وصعد فوق المقعد . وناولته توبنس بعض الكتب وقالت بعد أن وضعها فوق الرف:

- حسنا . هذا جميل . هل لك الآن أن تضع هذه الكتب فوق الرف الثانى ، فى ذلك المكان الخالى ، وبهذا نفرغ من الصندوق الأول . اننى أنوى الاهتمام صباح اليوم بالكتب التى اشتريناها من صاحب البيت السابق . قد نجد فيها كتبا ثمينة نستطيع أن نبيعها ، أو أن نعرضها على أصدقائنا ، لا كى نفخر بها ولكن لكى نستطيع أن نقول لهم " هل تعلمون اننا عثرنا على كتاب ثمين ؟ " .

- وعلى أى شئ تأملين العثور ؟ .. كتاب من تلك الكتب القديمة العزيزة عليك التى لا تتذكرينها .

- ليس تماما .. وانما قد أجد شيئا غريبا يغير مجرى حياتنا .

- أنت مدهشة حقا . من المحتمل تماما أنك ستصابين بخيبة أمل .

- يجب أن نعيش بالأمل على كل حال .. انه شئ كبير لا أفتقر اليه .

قال تومى وهو يتنهد :

- اننى أعرف ذلك تماما .

***

وضعت مسز بيرسفورد رواية " الساعة الدقاقة فوق الرف الثالث مع كتب مسز مولسورث ثم تناول رواية " مزرعة الرياح الأربع " . وكانت قد نسيت احداثها تقريبا ، وراحت تقلب صفحاتها ثم بدأت تطالعها من جديد ..

لن يلبث تومى أن يعود .

وعندما سألها وهما على مائدة الطعام الى أى حد تقدمت فى تبويب الكتب أجابته فى لباقة وفى شئ من المكر حتى تمنعه من الصعود لالقاء نظرة عليها فقالت ان الانتقال الى بيت جديد يتطلب وقتا أكثر مما يتصور المرء عادة ، وان الناس تتعامل فى مثل هذه الأحوال مع قوم مزعجين يثيرون الأعصاب ، مثال ذلك عمال الكهرباء فقد أقبلوا ذات مرة ولكن بدا لهم أنهم غير راضين عن عملهم ، ثم احتلوا الطابق الأول بوجوه باسمة ونزعوا بعض الألواح من الأرضية وتركوها على حالها فكانت بمثابة فخاخ لصاحبة البيت المسكينة .

قالت توبنس :

– أحيانا أندم حقا لأننا غادرنا مسكننا القديم فى بارتون آكر .

– وهل نسيت سقف غرفة الحمام ؟ . والسندوة ؟ . والجاراج الذى كاد ينهار فوق سيارتنا .

– كان فى مقدورنا أن نقوم ببعض الاصلاحات .

– كلا . كان لابد لنا من اعادة بناء البيت كله . سترين أن هذا البيت بالذات سيكون جميلا جدا بعد أن نفرغ من التحسينات الداخلية .

– سنجد على الأقل مكانا يتسع لكل ما لدينا .

ولكن توبنس تساءلت مع ذلك اذا كانا سيبلغان الغاية التى حدداها . بدا كل شئ فى البداية سهلا ، غير أن الأمور لم تلبث أن تعقدت بعد ذلك بصورة غريبة ، والسبب الأكبر فى ذلك يرجع الى هذه الكتب اللعينة ، ومع ذلك فلم يكن من اليسير أن نفترق عنها .

قالت :- لو أننى اليوم طفلة فأظن أننى ما كنت لأتعلم القراءة بهذه السهولة ، فان أطفال هذه الأيام لا يعرفون القراءة فى سن الخامسة أو السادسة ، وكثير منهم يعجز عن ذلك فى العاشرة أو الحادية عشرة من العمر . ولا أدرى لماذا كنا نجد ذلك سهلا ميسورا فى عهدنا .. مارتن وجنيفر اللذان كانا يقيمان فى البيت المجاور وسيريل وويتفريد اللذان كانا يسكنان بعيدا عنا .. كلهم .. ولن أذهب الى الادعاء بأننا كنا نعرف الحروف الهجائية ، ولكننا كنا نقرأ .

ونقلت بضعة كتب أخرى من مكانها ، واستقرت يدها على كتاب ضخم بهت لون غلافه كان عنوانه " أزهار مرجريت " .

- أوه ، يجب أن أعيد قراءة هذا الكتاب . كان مشوقا جدا وكنا نتلهف الى معرفة ما اذا كانوا سيؤيدون نورمان . وكانت هناك اتيل وفلورا أيضا .. ما اسم القرية التى كانوا يقيمون فيها .. أظن أنها كوكسويل .

- معذرة يا سيدتى .

- ما الخبر يا البيرت ؟

وألبيرت هذا هو الخادم الأمين المخلص ، وكان قد ظهر بعتبة الباب وقال :

- ألم تدقى الجرس يا سيدتى .

- كلا .. اننى ضغطت على الزر رغما عنى وأنا أصعد فوق هذا الكرسى آخذ كتابا .

- هل تريدين أن أناولك بعض الكتب يا سيدتى .

- الواقع اننى لم أفحص الكتب الموجودة فوق الرف الثالث .

صعد البيرت فوق مقعد وأخذ الكتب واحدا واحدا ، وكان ينفض عنها الغبار قبل أن يناولها لتوبنس التى راحت تقول فى سرور :

- أوه " التعويذة " .. و " الباحثون عن الكنز " .. يا الهى ! . شد ما أحببتهما وأنا صغيرة . لا تعدها مكانها يا البيرت فانى أظن اننى سأقرأها من جديد .. وما هذا الكتاب ؟ .. الشارة الحمراء .. نعم .. انها رواية تاريخية مثيرة ، وها هى ذى رواية الثوب الأحمر .. قرأت كل هذا وأنا فى العاشرة أو الحادية عشرة من عمرى ، ولن أستغرب اذا وجدت بين هذه الكتب رواية " سجين زندا " .

تنهدت توبنس لمجرد ذكرى سجين زندا .. أولى الروايات الخيالية التى قرأتها .. معامرات الأميرة فلافيا وملك موريتانيا ، ردولف راسنديل الذى شغل أحلام جميع الفتيات فى ذلك العهد .

وأنزل البيرت مجموعة أخرى من الكتب .

- وما هذه ؟ .. جزيرة الكنز .. حسنا . أننى أعدت قراءتها وأظن أننى رأيت فيلمين عنها .. لا أحب كثيرا رؤية الأفلام بعد قراءة الروايات فانها تختلف عنها كثيرا .. وهذه رواية الاختطاف .. اننى أحببت هذه الراوية دائما .

وشب ألبيرت على طرفى قدميه وأخذ صفا من الكتب وقع منها كتاب لمس شعر مسز بيرسفورد فأسرع يقول :

- أوه .. أرجو المعذرة يا سيدتى .

- لا بأس يا أليبرت .. آه .. هذه رواية كاتريونا .. هل هناك روايات أخرى لستيفنسون ؟

راح ألبيرت ينفض الغبار عن الكتب فى حذر أكثر وأطلقت توبتس صيحة تدل على سرورها وقالت :

- السهم الأسود .. القط والفأر والكلب لوفيل .. انجلترا تحت حكم ملك فاسق وأعنى به ريتشارد الثالث طبعا ، ولكن كل الكتب تؤكد الآن أنه كان ملكا مدهشا بعيدا عن الفسق والفجور كما قيل من قبل ، بيد أننى لا أعتقد أن فى قولهم هذا شيئا من الحقيقة ولم يكن شكسبير يعتقد ذلك هو الآخر . ألم يبدأ روايته بهذه العبارة التى يقولها ريتشارد : " اننى عقدت النية على أن أكون فاسقا " .

- هل تريدين المزيد يا سيدتى ؟

- كلا . أشكرك يا ألبيرت . كفى اليوم فقد تعبت .

- حسنا يا سيدتى . بهذه المناسبة . اتصل السيد بالتليفون وقال انه سيتأخر نصف ساعة .

- حسنا .

- جلست توبنس فى مقعد كبير بعد أن أخذت كتاب السهم الأسود وتمتمت :

- هذا عظيم .. اننى لم أعد أتذكر هذه الرواية ويسرنى أن أعيد قراءتها .

عاد ألبيرت الى المطبخ فى حين اضطجعت هى فى مقعدها الى الوراء واستغرقت فى قراءة رواية روبرت لويس ستيفنسون محاولة استعادة مسرات الطفولة .

وفى المطبخ مر الوقت أيضا . ووقفت سيارة أمام البيت فخرج البيرت من الباب الخلفى وقال :

- هل أعيد السيارة الى الجاراج يا سيدى ؟

أجاب مستر بيرسفورد :

- بل سأعيدها أنا نفسى لأننى أظن أنك تقوم باعداد الطعام . هل تأخرت كثيرا ؟

- كلا يا سيدى .. لم تتأخر أكثر مما قلت .

أعاد تومى السيارة الى الجاراج ثم دخل المطبخ وهو يدعك يديه قائلا :

- ان الطقس بارد فى الخارج . أين سيدتك ؟

- فوق .. مع الكتب يا سيدى .

- ماذا تقول ؟ أما زالت تفحص هذه الكتب القديمة ؟

وفى الدور الأول كانت توبنس مضطجعة فى مقعدها وقد قطبت جبينها بعض الشئ ، فقد وقعت على شئ بدا لها غريبا .. رأت فى الصفحة الخامسة والثلاثين وفى الصفحات التى تليها خطوطا تحت بعض الحروف . وكانت تحاول منذ وقت طويل معرفة المعنى الذى تنطوى عليه هذه الظاهرة ، وراحت تقرأ فى صوت مرتفع :

" أطلق ماتشوم صرخة قصيرة وسرت فى بدن ديك رعشة وارتجف وأفلت السهم من أصابعه . ولم يكن هناك ريب فى أن هذه الاشارة التى يتنظرها زملاؤه لأنهم وقفوا على الفور شاهرى السلاح . ورفع الليس يده وقد برقت عيناه وقال : - انظر .. " .

هزت توبنس رأسها ومضت الى المكتب وأخذت ورقة وقلما ونسخت بعض العبارات الموجودة فى الرواية وراحت تفحصها فى اهتمام ولم تلبث أن صاحت :

- آه .. ولكن هذا يغير كل شئ .

وكتبت على ورقة أخرى بضعة حروف منعزلة .

ودخل تومى فى هذه اللحظة وهو يقول :

- أما زلت هنا ؟ العشاء جاهز . أين أنت من كتبك ؟

- اننى وجدت شيئا يثير حيرتى جدا .

- وما هو ؟

- أخذت من فوق الرف رواية السهم الأسود وخطر لى أن أعيد قراءتها . وبدأت قراءتها فعلا ولكننى لم ألبث أن عثرت على كلمات تحتها خطوط بالحبر الأحمر .

- يحدث أحيانا أن يضع القارئ خطا تحت عبارة أو كلمة ما .

- هذا صحيح ولكن ليس هذا ما حدث .. انه وضع الخطوط تحت حروف معينة بالذات .

- حروف ؟ . ماذا تعنين .

- اقترب .. سأريك .

تقدم تومى وجلس فوق مسند المقعد وبدأ يقرأ :

" أطلق ماتشوم صيحة قصيرة .. " . ولكن هذا سخف لا معنى له .

- هكذا ظننت فى البداية .. ولكنه ليس كذلك يا تومى .

ارتفع رنين جرس فى الطابق الأرضى فى هذه اللحظة فقال :

- العشاء .

- دقيقة واحدة .. يجب أن أوضح لك .

تنهد تومى وقال :

- تكلمى . أظن أنه اكتشاف آخر من اكتشافاتك الغريبة .

- ترى على هذه الصفحة أن حرفى الميم والألف من كلمة ماتشوم تحتهما خط . وهناك كذلك خط تحت كل من الراء والياء من كلمتى صرخة وقصيرة ، ثم الجيم فى كلمة ارتجف والواو فى كلمة وقفوا والراء فى كلمة .. أنظر ..

- كفى أرجوك .

- لحظة .. أنظر الى الحروف الأربعة التى جمعتها فوق هذه الورقة .. اذا كتبناها بالترتيب فانها تعطينا كلمة مارى .

- وما الغرابة فى ذلك ؟.. لاريب أن الكتاب كان ملكا لطفلة اسمها مارى تتمتع بموهبة الابتكار وأرادت أن ترينا بهذه الطريقة ان هذا الكتاب ملك لها . هناك أشخاص يكتبون أسماءهم على الكتب والأشياء التى يملكونها .

- واذا جمعنا الحروف التى تليها حصلنا على كلمة جوردان .

- هذا منطقى . اننا تعرف الان أن اسم الطفلة بالكامل هو مارى جوردان .

- كلا . ان هذا الكتاب ليس ملكا لها . اذا ألقيت نظرة على الصفحة الأولى

لرأيت اسما مكتوبا بخط صبياني : الكسندر باركنسون .

– اتفقنا . وما الغرابة في ذلك .. ان الصبي أراد أن يخلد اسم صديقة من صديقاته كان مغرما بها من غير شك .. هلمي بنا .. انني بدأت أشعر بالجوع .

– لحظة أخرى . أريد أن أريك الباقي . في الصفحات الأربع أو الخمس التالية هناك حروف وضعت تحتها خطوط حمراء ، وقد اختيرت هذه الحروف بطريقة غريبة اذا جمعناها أعطتنا هذه العبارة :

" مارى جوردان لم تمت ميتة طبيعية .. " وبعد ذلك .

" واحد منا هو الذي قتلها ، وأظن أنني أعرف من هو " ..

وهنا كل شئ فانني لم أجد أية حروف أخرى تحتها خطوط .. ولكن ألا ترى أن هذا أمر مثير ؟

– اسمعي يا توبنس .. لا أخالك تحاولين البحث عن سر هذه العبارة أيضا ؟

– ولكنني أعتبر أن فيها سرا ..

" مارى جوردان لم تمت ميتة طبيعية . واحد منا هو الذي قتلها وأظن أنني أعرف من هو . " .

ألا ترى يا تومي أن هذا غريب جدا ؟

* * *

صاح تومى وهو يدخل :

– توبنس!

ولما لم تجبه صعد السلم ركضا مغيظا وتقدم فى الطرقة وأوشك أن يدس قدمه فى ثغرة فصاح متذمرا :

– تبا لهؤلاء الكهربائيين الملاعين .

وكان قد وقع له نفس الشئ منذ بضعة أيام ، فقد انهمك العمال فى عملهم متفائلين ومقتنعين بكفاءتهم الفنية وهم يقولون :

– كل شئ على ما يرام الان . لم يبق الكثير وسننجز العمل كله بعد الظهر .

ولكن لم يكن يراهم أحد بعد ذلك طبعا . وبدأت مسز بيرسفورد تعتاد على الطريقة التى يقوم بها العمال بأعمال الكهرباء والغاز فى البيت ، فانهم كانوا يأتون ويبدأون العمل ويطلقون بضع عبارات تدل على التفاؤل التام ، ثم ينصرفون بحثا عن شئ ، ولكنهم كانوا لا يعودون بعد ذلك . وكان مستر بيرسفورد يتصل بهم تليفونيا ولكن كان يبدو دائما أنه أخطأ فى طلب الرقم الصحيح أما اذا لم يخطئ فان المسئول الذى يريد أن يتحدث اليه غير موجود . وكان يتعين عليه هو وزوجته عندئذ أن يتوخيا الحرص والحذر حتى لا يتعثرا فى طريقهما ، فتزل قدم أحدهما فى احدى الثغرات وتلتوى ساقه .

ومع ذلك فلم يكن توماس يخشى على نفسه . أين يمكن أن تكون توبنس فى هذه اللحظة . وناداها مرتين أو ثلاث مرات ولكنها لم ترد عليه .وكان ينزعج دائما بسببها ، فقد كان لابد له أن يعنى بها دائما . اذا أوصاها بأن لا تخرج فانها تعده دائما بأنها

ستلتزم بوصيته ، وانها لن تخرج الا لكى تشترى نصف رطل من الزبد ، وليس فى هذا الأمر أى خطر . أليس كذلك ؟

وكان يرد عليها فيقول :

– معك أنت يمكن أن يكون فيه كل الخطر .

– لا تكن أحمق .

– أننى لست أحمق .. وانما أنا زوج حريص يحرص على ممتلكاته الثمينة ، ولست أدرى لماذا على كل حال .

قالت توبنس فى هدوء :

– ذلك لأننى امرأة فاتنة ورفيقة مخلصة أمينة ، ثم اننى شديدة العناية بك .

– هذا جائز .. ولكن فى مقدورى أن أقدم لك سببا آخر .

– أظن أنه لن يروق لى كثيرا ، فلا ريب أن لديك ما تشكو منه . ولكن لا تقلق سيسير كل شئ على ما يرام . عندما تعود يكفى أن تنادينى .

كل هذا لا بأس به . ولكن أين هى الان ؟ .. وبرطم يقول :– يا للشيطانه الصغيرة . لا ريب أنها خرجت .

ودخل الغرفة التى تحتفظ فيها بكتبها لعلها تقرأ كتابا آخر ، أو ربما تكون منهمكة فى حل بعض الكلمات التى تحتها خطوط حمراء ، أو بمعنى آخر لعلها تتبع أثر مارى جوردان . وراح يفكر . ان القوم الذين باعوه البيت يدعون جونس . ولكنهم لم يمكثوا به مدة طويلة ثلاث أو أربع سنوات . ومعنى هذا أن الفتى الذى كان يملك ذلك الكتاب كان يقيم فى البيت قبلهم .

وهبط مستر بيرسفورد ونادى زوجته مرتين أو ثلاثا ولكن عبثا . ومن نظرة واحدة الى الشماعة التى بجوار الباب رأى أن معطف توبنس الخفيف الأحمر غير موجود مكانه فأدرك أنها خرجت .. أين ذهبت اذن ؟ . وأين هانيبال ؟

ونادى توماس هانيبال مرارا ولكن دون مجيب .

وتساءل اذا لم يكن هذا أفضل ، فان هانيبال ، وهو كلب ذكى من كلاب الصيد ، لن يدع أى أحد يلحق الأذى بزوجته طبعا ، ولكنه كان يخشى أن يقدم الكلب نفسه على حماقة ما ، فانه كان يحسن التصرف اذا ما رافق سيدته فى زيارة ما ، ولكن الزوار الذين يختلفون اليهما كانوا مشبوهين فى نظره ، وكان يتأهب للنباح عندئذ ، بل للعض أحيانا اذا ما استدعى الأمر ، ومن ناحية أخرى فان لقاءه فى الشارع بواحد من جنسه كان من المحتمل أن يؤدى الى مشاجرة عنيفة .

خرج توماس وسار فى الشارع بضع خطوات ولكنه لم يلمح أى كلب أسود يمشى مع سيدة ترتدى معطفا أحمر . وبعد بضع دقائق عاد الى البيت محنقا بعض الشئ .

واستقبلته رائحة لذيذة صادرة من المطبخ . كانت توبنس قد عادت أثناء غيابه ، وكانت تقف أمام الموقد الآن . وتحولت اليه وابتسمت قائلة :

– اننى أعددت لك يخنى لذيذا ؟ ألا تجد أن له رائحة لذيذة حقا ؟ .. اننى وضعت فيه أشياء كثيرة .. أعشاب حلوة جمعتها من الحديقة ، وأرجو أن لا أكون قد أخطأت.

– أرجو أن لا تكونى قد جمعت بينها بعض أوراق البلادونا أو القمعية . ولكن أين ذهبت ؟ .. اننى بحثت عنك فى كل مكان .

– لقد خرجت مع هانيبال فى نزهة قصيرة .

واندفع هانيبال فى هذه اللحظة نحو سيده وهو فى أوج الغبطة والسرور وكاد يوقعه، وهو كلب صغير أسود لامع الشعر له شامتان داكنتان فوق مؤخرته .

– ولكن الطقس لم يكن جميلا لمثل هذه النزهة .

– هذا صحيح . كان الجو ملبدا بالغيوم وقد تعبت .

– هل ذهبت للفرجة على المحلات ؟

– كلا . انما ذهبت الى المدفن .

- ولكن هذه ليست بنزهة . ولماذا ذهبت الى هناك ؟

- لكى أرى بعض القبور .

- هذا غريب ! .. وما السبب ؟

- أردت أن أرى أسماء الموتى المدفونين هناك .. بعض القبور يرجع تاريخها الى القرن السابع عشر والأسماء المحفورة فوقها قد أمحت تقريبا .

- ولكن لماذا كل هذا الاهتمام بأسماء الموتى .

- أردت أن أعرف اذا كان بينها أحد باسم جوردان .

- يا الهى ! .. أما زلت تهتمين بهذا الأمر ؟ .. هل كنت تبحثين عن ...

- اننا نعرف أن مارى جوردان ماتت ، وعليه فلابد أن تكون مدفونة فى مكان ما أليس كذلك ؟

- من غير شك . ولكن من الجائز أن تكون مدفونة فى حديقة بيت .

- يبدو لى هذا قليل الاحتمال لأن الفتى الكسندر كان يبدو أنه الوحيد الذى خطر له أن مارى جوردان لم تمت ميتة طبيعية ، ولم يخطر لأحد آخر فى ذلك الوقت .

- ان فى الأمر جريمة قتل .

- نعم . لم يخطر لأحد أنها قتلت .. كأن شج أحد رأسها أو دس لها السم أو ألقاها من فوق التل .. من يدرى ؟.. ولكنها ليست فى المدافن ، والواقع أنه ليس هناك أحد بهذا الاسم .

***

٤

قالت توبنس أثناء الطعام :

- هناك كثيرون من آل باركنسون .. متزوجون وعزاب وشبان وشيوخ .. وهناك آل جريفين وآل اندروود واوفروود ..

أصغى تومى اليها لحظة ثم قال يغير مجرى الحديث :

- يجب أن أتكلم فى التليفون مع الكهربائيين . وأرجو أن تتوخى الحذر أثناء ذلك وأن لا تزل قدمك فى احدى هذه الثغرات .

- لو أننى قتلت فى هذه الظروف فهل يكون موتى طبيعيا أو غير طبيعى .

- انما ينسبون موتك فى هذه الحالة الى الفضول .

- ألا تشعر أنت نفسك بالفضول أبدا .

- الحق أننى لا أرى أى سبب لكى أكون فضوليا . ولكن ما هذا الصندوق الذى بجوار باب المطبخ ؟ .. هل يحتوى على زجاجات النبيذ التى طلبناها ؟

- كلا .. ان به أبصالا .

- ماذا ؟

- أبصال تيوليب .

- وأين ستزرعينها ؟

- على جانبى الممر العمومى للحديقة .. سأعطى تعليماتى لاسحاق العجوز .

- يا للمسكين .. يخيل للمرء أنه سينهار ما بين لحظة وأخرى .

- هذا غير صحيح ، فهو قوى جدا . وقد اكتشفت أن جميع البستانيين أقوياء .. اذا كانوا اكفاء فانهم يبلغون حد الكمال بعد أن يتجاوزوا الرابعة والثمانين . وانك على

العكس من ذلك اذا ألحقت لديك شابا فى الثلاثين قوى الجسم متين البناء فانه يقول لك " طالما تمنيت أن أشتغل فى الحدائق والبساتين " . ولكن يمكنك أن تتأكد عندئذ أنه لا يساوى شيئا ، وأن كل ما يستطيع عمله هو ازالة بعض الأوراق الميتة من وقت لآخر ، وفيما عدا ذلك ، مهما طلبت منه أن يفعل فانه يقول لك ان الوقت غير مناسب ، فى حين أن أسحاق رجل كفء ويعرف كل شئ . يجب أن أزرع بعض الزعفران أيضا . اننى أتساءل اذا كان يوجد فى الصندوق شئ منه . سأذهب لأتحقق من ذلك .

– كما تريدين . سألحق بك بعد لحظة .

وبعد بضع لحظات كانت توبنس واسحاق يفرغان أبصال التيوليب من الصندوق . ستتفتح الزهور المبكرة منها فى نهاية شهر فبراير ، وستزدهر الحديقة عندئذ وتبدو جميلة يانعة . أما الزهور الأخرى فستتألق فى شهرى مايو ويونية وستجنى منها ما تشاء وتزين بها الصالون . ولماذا لا تزرع بعضا منها عند الباب العمومى فنزرع معها الغيرة فى قلوب الزوار .

وفى الساعة الرابعة أعدت توبنس الشاى واستدعت اسحاق لكى يحتسى كوبا منه قبل عودته الى بيته . وبعد ذلك بحثت عن زوجها ، وكان قد وعدها أن يلحق بها ولم يفعل . وقالت لنفسها " اننى واثقة أنه يضطجع فى مكان ما . " واجتازت الغرف المختلفة باحثة عنه ، ولم تلبث أن رأت رأسا تبرز من احدى الثغرات فى الأرضية ، وقال لها الكهربائى :

– كل شئ على ما يرام يا سيدتى . لم يعد هناك داع للحذر . غدا صباحا سأهتم بجزء آخر من البيت .

– أرجو أن لا تنسى الحضور . ألم تر مستر بيرسفورد ؟

– أظن أنه فى الطابق العلوى . سمعته يوقع بعض الأشياء على الأرض .. وأظن أنها كتب .

- كتب ؟ .. هذا غريب .

اختفى الكهربائى فى الثغرة وصعدت توبنس الى الطابق العلوى ، الى حيث الغرفة التى خصصتها للكتب ، وكان تومى جالسا بجوار الباب وقد تناثرت الكتب حوله . وقالت له :

- أنت هنا اذن مع أنك تدعى بأنك لا تهتم بكل هذا .

- معذرة . ولكن خطر لى أننى أستطيع أن ألقى نظرة أنا الآخر .

- هل اكتشفت كلمات أخرى تحتها خطوط ؟

- كلا . لا شئ . لا ريب أن هذا الفتى باركنسون كان كسولا . على كل حال ليست هناك أية معلومات عن مارى جوردان .

- اننى سألت اسحاق العجوز وهو يعرف أناسا كثيرين فى المنطقة ، ولكنه يدعى أنه لا يتذكر شخصا بهذا الاسم .

- ماذا تنوين أن تفعلى بهذا المصباح النحاسى الذى وضعته بجوار الباب .

- سأذهب به الى الحفلة الخيرية فليس له مكان فى البيت .

- هذا صحيح . ولا ريب أننا كنا مجانين عندما اشتريناه . وأعرف أنك لم تحبيه أبدا .

- مهما يكن فقد اغتبطت مس سندرسون عندما قلت لها اننى سأهديها أياه . وقد عرضت على أن تأتى هى بنفسها لكى تأخذه ولكننى قلت لها اننى سأذهب به اليها .

- أستطيع أن أحمله اليها اذا أردت .

- كلا . أفضل أن أذهب به أنا نفسى .

- حسن جدا . أظن أن هناك سببا يحملك على الذهاب الى هذه الحفلة ، أليس كذلك ؟

- الحقيقة أنه خطر لى أننى أستطيع أن أثرثر مع بعض القوم هناك .

– لا أدرى أبدا ما يدور بذهنك . ولكننى أرى فى عينيك أنك تدبرين أمرا ما .

– اذهب واخرج مع هانيبال . لا أستطيع أن أصطحبه الى الحفلة الخيرية لأننى أخشى أن يتشاجر مع أحد الكلاب الموجودة هناك .

– حسنا .. هل تريد أن تتنزه معى يا هانيبال ؟

أسرع الكلب اليه وهو يهز ذيله مسرورا كما لو أنه أدرك ما يقال له . وسار مع سيده حتى أشرفا على المدافن وهناك فقد هدوءه فجأة وانطلق عدوا وتسلل من خلال الباب الحديدى للمدافن وصاح تومى يقول محنقا :

– تبا لك من كلب قذر .

وفتح الباب الحديدى واندفع خلف الكلب ، وكان هذا قد بلغ نهاية المدافن ، وأوشك أن يتسلل داخل الكنيسة لأن الباب كان مواربا ، ولكن تومى أفلح فى اللحاق به وامساكه فى اللحظة المناسبة ووضع المقود حول عنقه .

وراح تومى يسير خلال المقابر ووقف لحظة يتأمل قبرا بجوار الكنيسة ، كان يبدو أنه من أقدم القبور الموجودة . وكانت هناك قبور أخرى نقشت فوقها تواريخ ترجع الى القرن التاسع عشر نظر تومى الى احداها متأملا وقال فى صوت خافت :

– هذا غريب .

***

٥

دهشت توبنس ازاء الترحاب الكبير الذى قوبل به المصباح النحاسى ، فقد قالت لها مس سندرسون :

- انها لمكرمة كبيرة منك يا مسز بيرسفورد أن تأتينا بهذه التحفة البديعة . أظن أنك أتيت بهذا المصباح فى احدى رحلاتك الى الخارج ؟

أجابت توبنس :

- نعم . اننا اشتريناه من مصر .

والواقع أنها لم تكن متأكدة من ذلك تماما ، لأنه انقضى على شراء ذلك المصباح أكثر من عشرة أعوام ، ولم تكن تدرى هل اشترته من دمشق أو من بغداد أو طهران ، ولكن نظرا الى أن مصر تتألق الآن تحت الأضواء فقد رأت أن المصباح سيكون له سحر أكبر اذا قالت أنها اشترته من هناك . وأردفت تقول :

- انه مصباح كبير الحجم وغرفتنا صغيرة ، ولهذا خطر لى ..

وقالت مس ليتلى مقترحة :

- أظن أنه ينبغى أن نضعه فى يا نصيب قومى .

كانت هى المكلفة بتنظيم حركة البيع . وكانوا يدعونها بالفضولية نظرا لأنها كانت على علم بكل ما يدور فى القرية . وقالت :

- أرجو أن تحضرى هذه الحفلة يا مسز بيرسفورد .

- طبعا ، فاننى أريد شراء بعض المعروضات .. ومنها ذلك الحوض الجميل المصنوع من الكرتون المضغوط .

- ولكن المصانع تنتج أحواضا جميلة من البلاستيك الآن .

- اننى لا أحب البلاستيك كثيرا ، ثم أن هناك تلك الفتاحة المصنوعة على هيئة رأس الثور ، فهى تروق لى كثيرا ثم أنها نادرة الوجود الآن .

- ألا تظنين أن الأوفق استخدام الفتاحات الكهربائية ؟

واستمر الحديث على هذا المتوال بعض الوقت وسألت توبنس ان كانت تستطيع تقديم أية خدمات . وأجابتها مس ليتل :

- أظنك تستطيعين الاشراف على قسم التحف يا عزيزتى مسز بيرسفورد . اننى واثقة أن لك دراية فى هذا المجال .

- كلا ، حقا . ولكننى سأحاول على كل حال .

- يسرنا أن نلقى منك بعض المعاونة .. وقد سعدنا جدا بالتعرف بك .. أظن أنك استقررت الان فى بيتك الجديد ؟

- هذا ما كان يجب أن يكون ولكن ما زالت هناك بعض أعمال مع النجارين والكهربائيين وعمال السمكرة وغيرهم .

قالت مس ليتلى فى توكيد .

- ان عمال الغاز أسوأ الجميع .

وأقبل راعى الكنيسة فى هذه اللحظة فتغير بمجيئه مجرى الحديث . وعبر هو الآخر عن سروره بلقائه بمسز بيرسفورد وقال :

- اننا نعرفك جيدا أنت وزوجك . وكنا نتحدث عنكما منذ بضعة أيام .. انكما عشتما حياة مثيرة أثناء الحرب الأخيرة .. وأصبتما نجاحا كبيرا فى تلك المسألة .. ولكن لاريب أنه لاينبغى التحدث عنها الآن .

قالت إحدى السيدات وهى تترك النضد التى تصف فوقه برطمانات المربى :

- أوه .. قص علينا ذلك ياسيدى الكاهن .

أجاب الكاهن فى رقة :

- ولكنهم حدثونى عنها بصفة سرية . وبهذه المناسبة أظن أننى رأيتك فى المدافن يامسز بيرسفورد .

- هذا صحيح . وكذلك دخلت لرؤية الكنيسة . إن بها ألواحا زجاجية جميلةالزخارف .

قال :

- ان الألواح التى إلى اليسار يرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر . أما الألواح الأخرى فقد ركبت فى عهد الملكة فيكتوريا .

رأيت وأنا أتجول خلال المقابر قبورا كثيرة لآل باركنسون .

- أقام منهم الكثيرون فى المنطقة ، وفى القرية نفسها فيما مضى . ومع ذلك فاننى لم أعرف منهم أحدا ، ولاريب أن مسز لابتون تتذكرهم .

ومسز لابتون هذه سيدة متقدمة فى السن تمشى معتمدة على عكازين ، وقد ارتسمت على وجهها امارات السرور حين رأت أن هناك من يهتم بها وقالت :

- نعم ، طبعا . اننى أتذكر مسز باركنسون العجوز فقد كانت تقيم فى مانور هاوس . كانت امرأة مدهشة .

- ورأيت كذلك أسماء أخرى تكرر ظهورها ... سومر وشاترتون مثلا .

- أرى أنك تغلغلت فى ماضى القرية .

- ويبدو أننى سمعت اسم جوردان .. كان الحديث يدور حول فتاة باسم لان .. أو مارى جوردان .

وألقت تورنس نظرة حولها ولكن اسم جوردان لم يكن له أى وقع خاص . وقال بعضهم أخيرا :

- أظن ان مسز بلاكويل استخدمت فى وقت ما خاصية بهذا الاسم ... سوزان جوردان على ماأعتقد .. ولكنها لم تبقها فى خدمتها من ستة شهور لأنها لم تكن

طاهية ممتازة .

- ومتى كان هذا ؟

- منذ حوالى عشرة أعوام .

- ألا يزال بعض آل باركنسون يقيمون فى القرية .

- كلا . انهم اختفوا منذوقت طويل . تزوج آخرهم بابنة عم له وهاجرا إلى كينيا .

وكانت توبنس تعرف أن لمسز لابتون علاقة بالمستشفى فقالت لها :

- وجدت فى البيت الذى اشتريناه بعض الكتب وأغلبها للأطفال وقد خطر لى أنها قد تكون ذات فائدة .

- هذه لفتة كريمة منك يامسز بيرسفورد . ولكن المكتبات تصدر الآن طبعات جديدة من هذه الكتب ، ولايمكننا أن نقدم للأطفال طبعات قديمة منها .

- هل تعتقدين هذا ؟ ..إننى شخصيا أفضل الكتب القديمة .. لن أنسى أبدا جزيرة الكنز أو روايات مسز مولسوورث .

أعادت توبنس العربة الى الجاراج ثم سارت الى البيت . وخرج البيرت من المطبخ وأقبل لملاقاتها قائلا :

- هل تريدين قليلا من الشاى يا سيدتى ؟ .. لاريب أنك متعبة .

- أبدا .. أشكرك يا ألبيرت . اننى تناولت الشاى فى القاعة الخورانية . هل خرج مستر بيرسفورد . ؟

- كلا . انه فى السندرة مع الكتب .. أظن أنه أوشك أن يفرغ من تبويبها .

- وهانيبال ؟

- أظن أنه مع السيد .

ولكن ظهر هانيبال فى هذه اللحظة بالذات ، وبعد أن نبح مرتين أو ثلاثا بكل القوة والحدة التى خيل له أنه لابد منهما لكلب الحراسة أدرك أن التى أقبلت انما هى سيدته ،

وليست امرأة مجهولة جاءت لكى تسرق الملاعق والشوك . وهبط السلم وهو يحرك ذيله ويلعب بلسانه كاشفا عن أنيابه .

قالت تونس :- أنت مسرور برؤية ماما اذن !

أبدى هانيبال سروره بأن اندفع نحو السيدة العجوز فقالت :

- مهلا .. مهلا .. انك ستوقعنى .. أين بابا ؟

صعد هانيبال درجات وهو يركض ، ثم استدار وانتظر لكى تلحق به سيدته .

ووجدت هذه الأخيرة تومى جالسا يقلب فى الكتب فسألته :

- ماذا تفعل ؟ .. ظننتك خرجت مع هانيبال ؟

- اننا ذهبنا الى المدافن .

- ولماذا اصطحبت هذا الحيوان المسكين الى المدافن ؟ . اننى واثقة أن الحيوانات لا يروق لها زيارة مثل هذه الأماكن .

- انه هو الذى أرغمنى على دخولها على كل حال .

وبسط تومى ذراعه وتناول كتابا من فوق الرف وقال :

- الاختطاف .. رواية أخرى لستيفنسون . لاريب أنه كان هناك شخص يحب هذا الكاتب بالذات .. وهذه رواية السهم الأسود .. وكاتريونا .. وروايتان أخريان ولكنهما مهدتان الى الكسندر باركنسون من جدته .

- واذن ؟

- اننى اكتشفت قبره .

- ماذا ؟

- اذا أردت الدقة فان هانيبال هو الذى اكتشفه ، بجوار باب الكنسية . والقبر نفسه غير نظيف ، والنقوش التى عليه قد زالت تقريبا ولكنه قبر الكسندر باركنسون الذى مات فى الرابعة عشرة من عمره .

- فى الرابعة عشرة !.. يا للفتى المسكين ..

- كان هانيبال ينقب فى ذلك المكان ، واستطعت أن أقرأ الاسم . ثم ألقيت على نفسى سؤالا .. أعتقد أننى أصبت منك بالعدوى .. وهذا ما يخيفنى منك فانك عندما تهتمين بشئ ما لاتلبثين أن تجرينى خلفك تساءلت اذا لم تكن هناك علاقة ما بين اكتشاف الفتى وموته الفجائى . انه كتب رسالة سرية : مارى جوردان لم تمت ميتة طبيعية ، فاذا افترضنا أن هذا التوكيد انما هو تعبير عن الحقيقة أفلا تظنين أنه تسبب فى موت ذلك الفتى .

- لا أخالك تعتقد ..

- الواقع أنه لنا الحق فى أن نسأل أنفسنا .. من الواضح ان الكتابة المنقوشة على القبر لا تذكر كيف مات ذلك الفتى ، ولكنه كان يعرف حقا شيئا يعرض شخصا ما للشبهة .

- انك تنسج أفكارا .

- لا تنسى أنك أنت التى بدأت باثارة هذه المسألة .

- مهما يكن فقد أصبحت هذه الأحداث بعيدة جدا حيث لن نستطيع أن نجد لها حلا أبدا .

- ان هذه الأحداث تعود بنا تقريبا الى ذلك الوقت الذى كنا نهتم فيه بقضية جين فينى.

تبادل تومى وتوبنس النظر وقد عادت بهما الذاكرة الى سنوات بعيدة الى الوراء .

***

٦

من المعتقد دائما أن الانتقال الى مسكن جديد أمر جميل ، ولكن الواقع غير ذلك، لأنه لابد من الاتصال أولا بالكهربائيين والنجارين والرسامين والمنجدين وعمال السمكرة وغيرهم ، ثم أن كل يوم يأتى بزوار غير متوقعين ، أو على الأصح بزوار لم يكونوا فى الحسبان أبدا .

وقالت توبنس :

- بيت الغار ! .. يا له من اسم مضحك . لا أدرى لماذا أطلقوا عليه هذا الاسم الغريب .

قال تومى :

- يبدو أنه كان معروفا باسم آخر قبل ذلك .. فى عهد آل وارنجتون .

- كان ذلك قبل آل جونس طبعا .

- أوه ، نعم . وكان ملكا لآل بلاكمور قبلهم ، ولآل باركنسون قبل هؤلاء .

- اذا استطعت أن أكتشفت شيئا يتعلق بهذين الأخيرين فقد نستطيع أن نحل مشكلتنا هذه .

- هل تعنين موت مارى جوردان ؟

- هناك هذه المشكلة طبعا . ولكن هناك أيضا مشكلة آل باركنسون أنفسهم . ولا ريب أن هناك مشاكل أخرى . اننا نعرف أن مارى جوردان لم تمت ميتة طبيعية ولكن بقية الرسالة تقول " واحد منا هو الذى قتلها " . هل يشير بقوله هذا الى أحد أفراد أسرة باركنسون أو الى شخص كان يقيم بينهم . لاريب أنه كان بالبيت بعض الأعمام والأخوال وأبناء عم وأبناء أخت ، وكلهم يحملون أسماء مختلفة . ولاريب أنه كانت

هناك خادمة وطاهية وربما مشرفة أيضا .. أما عبارة واحد منا فيمكن أن تشير الى أى شخص مقيم فى البيت فى ذلك الوقت ، وكان هناك خدم كثير وقتئذ ، ومن الجائز أن مارى جوردان هذه كانت خادمة أو وصيفة أو طاهية .. ولكن لماذا أرادوا قتلها ؟ .

سأحاول غدا أنْ أستعلم من مسز جريفيث فاننى سأتناول القهوة معها .

– يبدو أن تناول القهوة فى القرية أصبح عادة ؟

– بل هى وسيلة ممتازة للتعرف على الجيران الذين يقيمون فى نفس المنطقة ، ولهذا السبب أريد أن أجرب فرصتى الأخيرة مع مسز جريفيث فهى شخصية معروفة وفى اجتماع الأبرشية كانت لها الكلمة العليا حتى على الممرضة والطبيب .. بل والكاهن نفسه .

– ألا يمكن أن تزودك الممرضة بما تريدين من معلومات ؟

– لا أظن ذلك ، لأنها لا تقيم فى المنطقة منذ مدة طويلة . والممرضة التى كانت موجودة أيام آل باركنسون لاريب أنها ماتت منذ سنوات .

– وددت لو نستطيع أن ننسى آل باركنسون هؤلاء .. لو حدث هذا لما كانت هناك أية مشاكل .

– ان بياتريس هى السبب .

– وما دخل بياتريس فى كل هذا ؟

– هى التى جعلت المشاكل عادة .. أو بالحرى ليست هى ، وانما الخادمة التى كانت عندنا قبلها .. اليزابيث .. كانت تأتينى دائما وتقول : أوه يا سيدتى هل أستطيع أن أتحدث اليك لحظة .. ان لدى مشكلة عويصة .. ثم بدأت بياتريس تأتى كل يوم خميس ، واتخذت نفس العادة بحيث أصبحت لها هى الأخرى مشاكل .

– ان لدينا جميعا مشاكل على ما أعتقد .

وأطلق تومى تنهيدة وانصرف وهبطت توبنس السلم فى بطء وهى تهز رأسها .

ولحق بها هانيبال وهو يهز ذيله فى انتظار خطوة آتية .

– كلا يا هانيبال .. انك خرجت وتنزهت صباح اليوم .

أفهمها الحيوان الصغير أنها أخطأت ، وأنه لم يضع قدمه فى الخارج طوال اليوم فقالت :

– أنت أكبر كذاب التقيت به فى حياتى .. انك خرجت مع بابا .

أتى هانيبال بمحاولة أخرى لكى يحملها على الفهم بشتى الطرق أن الكلب له الحق فى الخروج مرة أخرى اذا أراد أصحابه أن يبدوا شيئا من التفاهم ، واذ رأى أن محاولته فشلت اندفع يهبط السلم وهو ينبح مغتبطا وألقى نفسه بين ساقى امرأة شابة منهمكة فى معالجة المكنسة الكهربائية ، وام يكن يحب هذا النوع من الآلات ، كما كان يبغض أن يرى سيدته منهمكة فى حديث طويل مع بياتريس .

وقالت المرأة الشابة :

– أخاف أن يعضنى .

– انه لن يعضك ، انما يتظاهر بأنه يريد ذلك فحسب .

– ولكنه قد يعضنى ذات يوم ، وبهذه المناسبة ، هل أستطيع أن أقول لك شيئا يا سيدتى .

– نعم ؟

– الواقع أن لدى مشكلة .

– كنت على يقين من ذلك ، وما هى هذه المشكلة يا بياتريس ؟ .. ولكن ، هل تعرفين أسرة فى هذه المنطقة اسمها جوردان ؟

– جوردان .. لا أستطيع القول يا سيدتى .. هناك آل جونسون .. واحد منهم شرطى والآخر ساعى .

وضحكت المرأة الشابة ضحكة قصيرة وأردفت :

- وكان الساعى من أصدقائى .

- ألم تسمعى أبدا عن فتاة باسم مارى جوردان .. ماتت منذ وقت ؟

هزت بياتريس رأسها وعادت للهجوم قائلة :

- ومشكلتى يا سيدتى ؟

- آه . نعم . وما هى ؟

- أرجو أن لا أضايقك . ولكننى والحق يقال فى موقف حرج ولا أريد .

- حسنا .. قصى علىّ قصتك حالا لأننى مدعوة لتناول القهوة عند مسز بارير . ما الذى يزعجك ؟

- اننى اشتريت تاييرا جميلا من محل سيمونز يا سيدتى . رأيته فى الفترينة ، فدخلت وجربته وراق لى . ولكننى لم ألبث أن رأيت بقعة صغيرة على الجونلة فوق الحاشية . ولم يكن الأمر خطيرا ، وقد أدركت عندئذ سبب رخصه .. ثلاثة عشر جنيها فقط ، واشتريته .. ولكننى عندما عدت الى البيت رأيت به بطاقة مذكور فيها ان ثمنه خمسة وعشرون جنيها ولم أدر ماذا أفعل . وعدت الى المحل ومعى التاييير ، فقد رأيت أن من الأوفق أن أعود به واستفسر ، لأننى لم أرض أن تلقى جلاديس ، وهى البائعة أية متاعب بسببى . وعندما بلغت المحل وجدتها منزعجة فقلت لها اننى سأدفع الفرق ولكنها أجابت بأن ذلك محال لأن المبلغ قد سجل .. هل ترين ما أعنيه يا سيدتى ؟

- نعم ، بكل تأكيد .

- وقد قالت أنه لا يمكننى أن أدفع الفرق لأن ذلك سيتسبب لها فى مضايقات .

- ولماذا ؟

- الواقع أننى ألقيت عليها هذا السؤال وقد ردت على أنها ستعرض للطرد اذا عرف أصحاب المحل هذا الاهمال .

- لا أظن ذلك . انك أحسنت التصرف على كل حال وما كان فى مقدورك أن

تفعلى شيئا آخر .

– ولكن جلاديس راحت تبكى . وعدت أنا بالتاييز ولا أدرى الآن ماذا أفعل .

تنهدت توبنس وقالت :– اننى أتساءل اذا لم أكن تقدمت فى السن بحيث لم أعد أدرى ماذا أفعل فى مثل هذه الظروف . ان كل شئ قد أصبح غريبا ومعقدا فى المحلات .. الأثمان وكل شئ .. ولكننى لو كنت مكانك فاننى أظن أننى كنت أدفع الفرق لجلاديس وأطلب منها أن تضع النقود فى الخزانة .

– الحق اننى لا أميل لهذا الحب لأن فى مقدورها أن تحتفظ بالنقود لنفسها ، ومهما يكن فاننى لا أدرى هل يمكن الوثوق بها .

– ان الحياة معقدة ، أليس كذلك ؟ وعلى كل حال فلابد لك من اتخاذ قرار ..اذا كنت لا تثقين بصديقتك ..

– انها ليست صديقة بمعنى الكلمة ، ولكننى أشترى لوازمى من ذلك المحل ، وهى رقيقة معى ، وهذا كل ما هناك . على أننى أظن أنها لقيت بعض المتاعب فى المحل الذى كانت تعمل به قبل ذلك ، فقد قيل أنها احتفظت لنفسها بثمن سلعة باعتها .

قالت مسز بيرسفورد :– حسنا .. فى هذه الحالة فاننى لن أفعل شيئا على الاطلاق..

وكانت قد تكلمت بلهجة تنطق بالحزم بحيث أن هانيبال أسرع لابداء رأيه ، فقد نبح فجأة واندفع نحو المكنسة الكهربائية كما لو كانت عدوا لدودا له وكأنه يقول :

– اننى لا أثق أبدا فى هذا الحيوان .. أريد أن أعضه .

وصاحت توبنس :– أوه ، الزم الهدوء يا هانيبال . كفى نباحا هكذا . ليس هناك من تعضه . يا الهى .. يجب أن أذهب والا تأخرت .

* * *

تمتمت توبنس وهى تنطلق فى شارع أوركارد :– مشاكل دائما .

واستقبلتها مسز باربر استقبالا حسنا وقدمت لها بعض البسكويت اللذيذ فسألتها

مسز بيرسفورد :- هل اشتريته من حلوانى القرية ؟

- أوه ، كلا .. انما أعدته عمة لى .

- ان هذا النوع من البسكويت من الصعب اعداده ولم أفلح أبدا فى اعداده كما يجب .

- ذلك أنه لابد من استخدام دقيق معين .. والسر وحده يكمن فى هذه النقطة .

وراحت المرأتان تحتسيان القهوة ، وهما تثرثران فقالت مسز باربر :

- حدثتنى مس بولاند عنك منذ أيام .

- حقا .. ومن هى مس بولاند ؟

- انها تقيم بجوار الكنيسة ، وتقيم أسرتها بالقرية منذ وقت طويل ، وقد جاءت الها هى نفسها وهى لا تزال طفلة صغيرة ، وتشعر أحيانا بالحنين الى الماضى ، فقد كانوا يزرعون فى الحدائق فى ذلك الوقت أصنافا ممتازة من الخوخ والمشمش ، وهى أشياء أندثرت فى أيامنا هذه .

قالت توبنس :

- كان عمى يزرع خوخا كبير الحجم فى حديقته .

- أتعنين ذلك الكاهن الذى كان يقيم فى مانشستر ؟ ألم يكن اسمه هندرسون ؟. أنه عاش هنا هو وأخته فى وقت من الأوقات . وقد ماتت الأخت المسكينة بطريقة يرثى لها . اختنقت وهى تأكل كعكة بالينسون أتعرفين أننى سمعت عن أناس كثيرين ماتوا بالشهقة . انها ميتة مؤلمة ، أليس كذلك ؟

***

٧

- هل أستطيع أن أتحدث معك لحظة يا سيدتى .

- يا الهى .. أهى مشكلة أخرى من مشاكلك ؟

كانت توبنس قد هبطت من السندرة فقد كان يجب أن تذهب لتناول الشاى مع صديقة أخرى التقت بها فى الحفلة الخيرية ، وقالت تحدث نفسها أن الوقت غير مناسب للاصغاء الى شكاوى بياتريس .

- ليست مشكلة من مشكلاتى يا سيدتى ، ولكننى أريد أن أحدثك فى موضوع قد يثير اهتمامك .

ليس لدى وقت كثير لأننى على موعد .

توقفت توبنس على بسطة الدور الأول وقالت :

- انه أمر يتعلق بشئ سألتنى عنه يا سيدتى بخصوص امرأة تدعى مارى جوردان . هل تعرفين ذلك المحل الصغير الذى يجوار مكتب البريد والذى يبيعون فيه البطاقات البريدية والخطابات والتحف الصغيرة ؟ ..

- نعم أظن أنه محل مسز جاريسون .

- نعم . ولكنه لم يعد ملكا لمسز جاريسون ومهما يكن فان لى صديقة تعمل به وقد قالت لى أنها سمعت عن مارى جوردان وان هذه الأخيرة كانت تقيم هنا ، فى هذا البيت بالذات منذ وقت طويل .

- غى هذا البيت ؟ .

- نعم يا سيدتى . سمعت صديقتى عن مارى جوردان التى تتكلمين عنها ، وقد خطر لى أن ذلك قد يهمك . انها قصة حزينة على كل حال فقد وقع للفتاة حادث ولقيت مصرعها .

- تقولين أنها كانت فى هذا البيت .. فهل كانت من أفراد الأسرة ؟

- كلا . كان البيت ملكا لآلى باركنسون وكانت تقيم معهم كما قالت لى جويندا . كانت قد أقبلت لكى ترسم صورة شخص ما .. كانت فنانة .

- صورة من ؟

- أظن صورة صبى صغير .. لم يكن صغيرا بمعنى الكلمة .. هل تعرفين مسز جريفين ؟

- قليلا . والواقع أننى ذاهبة الآن الى بيتها لكى أتناول الشاى معها .. تبادلت معها الحديث أثناء الحفلة الخيرية فى ذلك اليوم ولم أكن قد ألتقيت بها من قبل .

- انها امرأة طاعنة فى السن .. طاعنة أكثر مما يبدو عليها . وأظن أننى فهمت أن الصورة التى حدثتك عنها موجودة لديها .. فقد كانت أشبينة الفتى .. أو بالأحرى لا .. كانت صديقة لأشبينته ، وقد ورثت عنها الصورة .

- وماذا كان يدعى ذلك الفتى ؟

- كان من أسرة باركنسون .

- انما أردت أن أعرف اسمه .

- أظن أنه كان يدعى اليك .. أو ربما اليكس .

- وماذا حدث له ؟

- مات صغيرا بمرض لم يكن معروفا فى ذلك الوقت تغير لون الدم أو شئ أشبه . فى أيامنا هذه يأخذون دمك ويضعون لك بدلا منه . ولكن فى ذلك الوقت لم يكن المريض لينجو من الموت ، وابنة مسز بيلنجز ، صاحبة محل الحلوى ، ماتت وهى فى السادسة من العمر بهذا المرض .

- أظنك تعنين سرطان الدم ؟

نعم .. يبدو أن هذا اسمه . ويقال انهم سيجدون مصلا له ذات يوم ، كذلك المصل

الذى يستخدم ضد التيفود .

– كم كان عمر ذلك الفتى عندما مات ؟

– كان فى الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة من عمره وفى مقدور مسز جريفين أن تحدثك عنه بكل تأكيد ، فقد أقامت هنا طوال حياتها ، وهى تتذكر أمورا كثيرة ، ويبدو لى أن ذلك قد حدث فى عهد الملكة فيكتوريا .

– أشكرك يا بياتريس .. يجب أن أذهب الآن .

وهبطت توبنس الى الدور الأرضى وهى تحدث نفسها قائلة : لاريب أن الكسندر باركنسون هبط هذا الدرج كثيرا ، وكان يعرف أن الجانى واحد منهم .

***

٨

قالت مسز جريفين وهى تقدم الشاى :- يسرنى أنك قدمت ، أنت وزوجك ، للاقامة فى هذه القرية ، هل تريدين قليلا من اللبن ؟ .. كم قطعة من السكر ؟

وقدمت مع الشاى طبقا من الشطائر تناولت تونس واحدة منها فى حين عادت المرأة تقول :

- هل كنت تعرفين المنطقة قبل ذلك يا مسز بيرسفورد ؟

- كلا . كان علينا أن نختار بين عدد كبير من المنازل ، وقد زرنا الكثير منها ، ولكن أحدها كان بشعا جدا على الرغم من أن السمسار قال عنه أنه بيت جميل يضفى عليه القدم سحرا وفتنة .

قالت مسز جريفين :- اننى أعرف هذه العبارة . وهل تعنى عادة أن السقف بحاجة الى ترميم . أما اذا قال أنه بيت حديث التجديد فاننا نعلم أيضا ماذا يعنى ذلك ، ولكن بيتك جميل حقا ، وأظن أنكما أجريتما فيه مع ذلك بعض التغييرات .

- طبعا . وأظن أن أناسا كثيرين قد أقاموا فيه على التوالى ، وخاصة آل باركنسون .

- نعم . وقد طالت اقامتهم فى ذلك البيت أكثر من غيرهم .

- ومع ذلك فاننى لا أجد من يتذكرهم جيدا .

- ذلك لأنه مرت عليهم أعوام كثيرة .. وقد وقع لهم ذلك الحادث الأليم كما تعرفين ، ولا يستغرب أنهم باعوا البيت على أثر ذلك .

- هل كان البيت سئ السمعة أو غير صحى مثلا ؟

أقول ؟ .. ذلك المصاب قبل الحرب الأولى ...

- أوه ، ليس الأمر كذلك . ولكن وقع .. ماذا ولم يستطع أى أحد أن يصدق ذلك

وكانت جدتى تتحدث عنه أحيانا ، وتقول ان ما حدث كان له صفة بالأسرار الحربية .. غواصة جديدة .. وكانت تقيم بين آل باركنسون فى ذلك الوقت فتاة يبدو أنها تورطت فى هذه المسألة .

– هل تعنين مارى جوردان ؟ .. اننى سمعت عنها أكثر من مرة .

– هى بالذات . وقد قيل بعد ذلك أن هذا الاسم ليس اسمها الحقيقى ، وأظن أن بعضهم كان يشتبه فيها منذ بعض الوقت .. الفتى الكسندر باركنسون .. كان فتى طريفا وذكيا جدا .

***

الفصل الثانى

١

كانت توبنس منهمكة فى اختيار بعض البطاقات التذكارية ، وكان الوقت عصرا وعطرا والمحل يكاد يكون شاغرا ، واناس قلائل يشترون ما يريدون من طوابع بريدية فى عجل من أمرهم ، ثم يلقون بخطاباتهم فى صندوق البريد ويسرعون الى بيوتهم دون ابطاء .

وعرفت توبنس جوينذا من الوصف الذى أدلت به بياتريس ، وقد أبدت الفتاة سرورها بالتعرف اليها وتبادل الحديث معها لحظة ، وكانت هى التى تهتم بالمحل الصغير ، فى حين كانت هناك امرأة متوسطة العمر تبيع الطوابع ، وكانت الفتاة ثرثارة بطبعها تبدى اهتمامها دائما بالزائرين الجدد الذين يمرون بالقرية ، ولهذا لم تجد توبنس أى عناء فى استدراجها .

- يسرنى أنكم سكنتم هذا البيت .

- قالت لى بياتريس أنك تتذكرين فتاة تدعى مارى جوردان سبق أن أقامت فيه .

- لم أعرفها معرفة شخصية لأنه مضى على موتها وقت طويل . كان ذلك قبل الحرب .. لا أعنى الحرب الأخيرة ، وانما الحرب الأولى .. تلك التى استخدمت فيها المناطيد فى سنة ١٩١٥ أو سنة ١٩١٦ ، وحلقت فى سماء لندن .

- أتذكر أن غارة وقعت ذات يوم بينما كنت فى أحد المتاجر .

- كانوا يأتون فى الليل أحيانا ، أليس كذلك ؟ . لاريب . أن ذلك كان فظيعا .

- لم يكن فظيعا جدا فى الواقع ، فقد كان الناس يشعرون بالفضول فى ذلك الوقت ، ومهما يكن فقد كان الأمر من الفظاعة أقل منه فى الحرب الأخيرة .

- وددت لو أصدق ذلك . لى صديقة كانت تقضى كل لياليها فى النفق بمحطة المترو .

قالت توبنس :- لم أكن فى لندن أثناء الحرب الأخيرة ، ولا أعتقد أن قضاء الليالى فى الأنفاق كان ليروق لى .

- حسنا . ان صديقتى جينى كانت تعيد ذلك . كانت تقول أنه أمر ممتع . وكانت لكل امرئ درجة خاصة ، وكانوا يقضون وقتهم فى الثرثرة والضحك ، ويأكلون الشطائر ويرقدون . كان ذلك رائعا وقول جينى أنها افتقدت تلك الأيام بعد أن انتهت الحرب وأنها وجدت مسكنها حزينا جدا .

- مهما يكن فلم تكن هناك صواريخ فى حرب سنة ١٩١٤ وانما مناطيد فحسب .

ولكن المناطيد لم تثر اهتمام جويندا . وعادت توبنس الى الموضوع الذى يشغلها فقالت :

- اذن فقد سمعت عن مارى جوردان ؟

- نعم . كانت جدتى تتكلم عنها وتقول أن لها شعرا ذهبيا جميلا . كانت المانية ، وكانت تهتم بالأطفال .. أعنى أنها كانت مربية أو نحو ذلك . وكانت قد أقامت مع أسرة من البحارة بعض الوقت فى ايسكوتلاندا ثم جاءت هنا بعد ذلك .. عند آل باركنسون . وكانت تأخذ يوما عطلة كل أسبوع كانت تذهب فيه الى لندن . وكانت تذهب بالأشياء هنا .

- أية أشياء ؟

- لا أعرف . ولم يعرف ذلك أحد أبدا ، وأظنها مسروقة .

- هل باغتها أحد وهى تسرق .

- لا أظن ذلك . بدأوا يظنون بها الظنون ، وقد مرضت فجأة وماتت .

- ومم ماتت ؟

- قيل أن الطاهية أخطأت وطبخت قمعية اعتقادا منها بأنها اسباناخ أو خبيزة ، وقيل انها طبخت ثمار البلادونا على أنها باذنجان ، ولكننى لا أستطع أن أصدق ذلك، لأن ثمار البلادونا معروفة ، ثم أنها تبدو كعناقيد العنب الأسود .. لاريب أنها طبخت قمعية اذن .

- وهل نقلوا الفتاة الى المستشفى ؟

- كلا . لم تكن كل وسائل الاسعافات الأولية متوفرة فى ذلك الوقت ، ولم تكن هناك مستشفيات قريبة . وقد أقبل الطبيب وبذل كل ما استطاعه ولكن قضاء الله كان غالبا .

- هل كان فى البيت كثيرون عندما وقع ذلك الحادث ؟

- طبعا . سمعت أنه كان هناك أناس كثيرون دائما . وخصوصا فى عطلة نهاية الاسبوع . وكان هناك أطفال ومربية .. ولا أعرف طبعا الا ما سمعته عن جدتى ، وبودليكوت العجوز يتحدث عن ذلك أحيانا أعنى الأب اسحاق وأنت تعرفينه . كان بستانيا وقد اتهموه فى بادئ الأمر بأنه هو الذى جنى الثمار السامة ولكن الواقع أنه لم تكن له يد فى ذلك ، وأن شخصا آخر من البيت أراد أن يساعد فى جمع الخضر من الحديقة ، وجاء بالأوراق السامة الى المطبخ .. شخص لا يعرف شيئا فى فلاحة الحدائق طبعا .

وفيما بعد وفى أثناء التحقيق قيل أنها غلطة فى مقدور أى شخص أن يقع فيها ، لأن أوراق الاسباناخ والحميض كانت تنمو بجوار أوراق القمعية ، ولاريب أن الشخص

المذكور أخذ حفنة من القمعية مع الأوراق الأخرى فى نفس الوقت . ومهما يكن فقد كان أمرا محزنا ، خاصة وأن جدتى تقول أنها كانت جميلة جدا وذات شعر رائع .

– وتقولين أنها كانت تذهب الى لندن كل أسبوع ؟

– نعم . كانت تقول أن لها أصدقاء هناك ، وكانت جدتى تتكلم عنها فتقول أنها كانت أجنبية ، وأنهم أدعوا فى ذلك الوقت أنها جاسوسة المانية .

– وهل كانت كذلك حقا ؟

– لا أعتقد ذلك . كان يبدو أنها كانت تروق كثيرا للرجال .. ضباط البحرية وضباط الجيش المقيمين فى معسكر شلتون العسكرى . ولكن كل ذلك بعيدا الآن بعيد جدا .. قبل سنة ١٩١٤ ، وكانت للعائلات الثرية فى ذلك الوقت وصيفات ومشرفات أجنبيات.

وكانت مارى جوردان ظريفة جدا مع الأولاد ، وقد أحبها الجميع . وكانت تقضى أوقات فراغها فى الرسم ، وقد رسمت صورة لجدة لى ، كما رسمت صبى من أسرة باركنسون . والصورة الأخيرة لا تزال موجودة لدى مسز جريفين العجوز . ويقال أن ذلك الصبى اكتشف شيئا يتعلق بتلك الفتاة .

– هل تعنين الكسندر باركنسون ؟

– نعم . وهو مدفون فى مقابر القرية .

***

٢

فى صباح اليوم التالى جئت توبنس عن تلك الشخصية المشهورة فى القرية كلها والمعروف صاحبها باسم اسحاق بودليكوت . كان شخصية حقا ليس فقط بسبب سنه ، فقد كان يقول أنه فى التسعين من عمره على الرغم من أن أحدا لم يصدقه ، ولكن لأنه كان قمينا بأن يقوم بأعمال الاصلاحات على مختلف أنواعها .

فاذا أردت استدعاء السمكرى للقيام ببعض الاصلاحات العاجلة وساءت محاولاتك فى استدعائه بالفشل فيكفيك أن تلجأ الى الأب اسحاق ، وسواء أكان مؤهلا أم غير مؤهل فانه كان يعرف منذ سنوات عديدة كل المشاكل التى تدور حول أحواض الاستحمام وأحواض دورات المياه ، بل والسخانات ، الكهربائية منها أو غير الكهربائية . وكانت أسعاره أكثر اعتدالا من أسعار السمكريين ، وكانت اصلاحاته أحسن دائما . وكذلك كان جديرا بانجاز أعمال النجارة والحدادة والتنجيد ، ولم يكن له غير عيب واحد ، فقد كان يثرثر بدون انقطاع على الرغم مما يعانيه لكى يحتفظ بطاقم أسنانه ثابتا فى مكانه اذ كان يجعل كلماته تبدو دائما غير واضحة .

وكانت ذكرياته عن الماضى لا تنفد . ولكن كان من العسير دائما أن تتأكد من صحتها ، لأنه لم يكن يتردد فى اضافة قصص من نسج خياله لكى يؤثر بها على سامعيه .

– اننى واثق أنك ستندهشين لو أننى استطعت أن أروى لك كل ما أعرفه عن هذه المسألة . كان الجميع يعتقدون أنهم على علم بها ولكن الواقع أن الأخت الكبيرة هى الجانية ، وهى فتاة رقيقة جدا فى الظاهر ، وكلب الجزار هو الذى كشف السر حين تبعها الى البيت . آه . فى مقدورى أن أقول أكثر من ذلك .

كانت هناك مسز اتكنز أيضا ، وهى عجوز ، كانت فى السبعين من عمرها . ولم

يكن أحد يعرف أنها تحتفظ بمسدس فى بيتها . لم يكن أحد يعرف ذلك غيرى أنا ، وقد عرفت الأمر عندما استدعتنى ذات مرة لكى أصلح لها مكتبها . كانت تحتفظ بالمسدس فى أحد أدراجه ، وقد قيل أن ابنها هو الذى أتى به من أفريقيا .

وهل تعرفين ماذا كانت تفعل تلك المجنونة ؟ كانت تقف بجوار نافذتها وعندما يغامر أحد الأشخاص ويمر عن طريق الحديقة كانت تطلق الرصاص فى كل ناحية وتقول أنها لا تريد أن يأتى أحد يزعج العصافير .

وبعد أن أفلحت توبنس فى اقناع مستر بودليكوت بالقدوم لاصلاح بلاط غرفة الحمام تساءلت أن كانت تستطيع توجيه الحديث نحو حدث من أحداث الماضى يسمح لها ولتومى بجلاء السر الذى يزعجهما واكتشاف ما قد يكون مخبوءا فى البيت .

وقبل العجوز دون أية صعوبة لأنه كان يحب التعرف بكل السكان الجدد الذين لم يسمعوا ذكرياته العجيبة عن الماضى ، فان الذين يعرفونه جيدا كانوا لا يشجعونه على ترديد قصصه . ولكن الوافدين الجدد كانوا يسببون له سرورا لا يوصف .

– ما زالت هناك بعض الشظايا فوق البلاط ولابد من ازالتها .

أجابته مسز بيرسفورد :– أعرف ذلك ولكننا لم نجد متسعا من الوقت .

– آه . ولكن لا يجب الهزل مع الزجاج ، فان شظية دقيقة منه يمكن أن تصيبك بجرح خطير ، بل يمكن أن تتسبب فى الموت اذا بلغت أى شريان ، وأننى أتذكر مس لافينيا شرتاكونب .. لن تصدقى أبدا .

لم يكن لمسز بيرسفورد أية رغبة فى الاستماع الى مغامرات مس شوتاكومب المزعجة لأنها سمعتها قبل ذلك . كانت الفتاة المسكينة فى السبعين أو الثمانين من عمرها ، وكانت صماء وتكاد تكون ضريرة ، ولهذا أسرعت توبنس تقول مقاطعة البستانى الشهم قبل أن يزيد :

– أظنك تعرف كل الأحداث الغريبة التى وقعت فى القرية فيما مضى ؟

- اننى لست شابا .. فاننى فى التسعين من عمرى الآن ولكننى مع ذلك أتمتع بذاكرة قوية . ثم أن هناك أشياء لا يمكن نسيانها مهما بعد بها الوقت .

- من المدهش أن نفكر فى كل ما نستطيع معرفته عن الناس والأشياء .

- ومع ذلك فليس من السهل فهم الناس . فهم أحيانا ليسوا كما تظنين . وأحيانا يتصرفون بطريقة غير متوقعة اطلاقا .

قالت توبنس متسائلة :- كالجواسيس مثلا ؟ .. أو المجرمين ؟

ونظرت الى اسحاق العجوز ، ولكنه اكتفى بأن انحنى لكى يلتقط قطعة من الزجاج وقال :

- انظرى .. هل تعرفين ماذا كان يحدث لو أن هذه دخلت فى باطن قدمك ؟

بدأت توبنس تفكر فى أن استبدال لوح زجاج غرفة الحمام لم يحدث التأثير المطلوب على زلاقة البستانى ولهذا قالت له أن المستنبت الزجاجى الملاصق للبيت فى حاجة الى بعض الاصلاحات هو الآخر . وهبطا معا لفحص المكان المذكور .

وسألها اسحق :

- هل تتكلمين عن هذا ؟ .. أنه كاى كاى .

تأملته مسز بيرفسورد فى شئ من الحيرة وقالت : - ماذا قلت ؟

- كاى كاى .. هكذا كانوا يدعونه فى الماضى .

- ولماذا ؟

- لا أدرى . لا ريب . انه اسم كانوا يطلقونه على المستنبتات الصغيرة كهذا المستنبت . ان القصور الكبيرة ملحق بها مستنبتات حقيقية يزرعون فيها الكزبرة وبعض النباتات الأخرى . ولكن هذا المستنبت بالذات كان مخصصا للأطفال ، فكانوا يضعون فيه لعبهم وأشياءهم ، وأظن أن هذه اللعب ما زالت موجودة . هذا اذا لم تكن قد أزيلت . كانوا يضعون فيه أيضا الكراسى القديمة وجميع الأشياء التى لم يعد لها

أى نفع .

سألته مس بيرسفورد وهى تقترب من النافذة القذرة : هل نستطيع أن ندخل ؟ .. اننى متأكدة أن به أشياء كثيرة غريبة .

- أرجو أن يكون المفتاح لا يزال موجودا مكانه بالحظيرة .. سأذهب لكى أرى .

كانت الحظيرة المذكورةعبارة عن سقيفة صغيرة فتح اسحاق بابها بركلة من قدمه ، وأبعد بعض الأغصان ، ورفع حصيرة صغيرة معلقة لصق الحائط كشفت عن ثلاثة أو أربعة مفاتيح يعلوها الصدأ .

وقال :

- هذه مفاتيح ليندوب ، البستانى ، السابق ، وهو عامل سلال قديم لم يكن يصلح لأى شئ .

هل تريدين أن تذهبى الان لتتفقدى كاى كاى ؟

- طبعا . ألا تدرى لماذا يطلقون عليه هذا الاسم ؟

- أظن أنه اسم يابانى .. أو لعله صينى .

- أوه ، كلا .

وعثر اسحاق فى مكان ما من السقيفة على زجاجة من الزيت سكب قطرة منه على المفتاح ، واستطاع أن يديره داخل القفل ، ثم دفع الباب ودخل خلف توبنس .

- أرى هناك حصانا غريب الشكل .

- انه ماتليد .

قالت توبنس فى حيرة : - ماتليد ؟

- نعم . انه اسم امرأة ، وأظن أنه كانت هناك امرأة بهذا الاسم ، بل أننى سمعت أنها كانت زوجة غليوم الفاتح ، ولكن لاشك أنها مزحة . مهما يكن فان هذا الحصان جاء من أمريكا .. جاء به الأب الروحى لأحد الأطفال .

- أحد الأطفال ؟

- أحد أطفال آل باسنجتون .

كان ماتليد فى حالة يرثى لها ، وقد بقيت له بضع شعيرات من شعره الذى لم يكن هناك شك فى أنه كان غزيرا .

قالت توبنس :- لم أر أبدا حصانا أرجوحة كهذا .

- لا يدهشنى ذلك ، فالحصان يتأرجح عادة من الأمام ولا أكثر ، أما هذا الحصان بالذات فيختلف لأنه يتقدم قفزا ، اذا جاز لى هذا القول .. قائمتاه الأماميتان أولا .. هوب .. ثم قائمتاه الخلفيتان . اذا استطعت أن امتطيه لكى أريك .

- توخ الحذر فقد تقع .

- اننى لم أركبه منذ ستين عاما تقريبا ، ولكنه لا يزال متينا كما ترين .

وفى خفة مدهشة من رجل فى مثل سنه وثب العجوز فوق الحصان الخشبى الذى راح يتأرجح الى الأمام ، والى الخلف .

- آه .. كان الأولاد يحبونه ، وكانت مس جينى تركبه كل يوم .

- ومن هى مس جينى ؟

- كانت الابنة الكبيرة .. التى قدموا اليها اللعبة وهناك ترولوف أيضا .

نظرت توبنس الى العجوز متسائلة فاستطرد هذا يقول :

- انه اسم الحصان الصغير المشدود الى هذه العربة الصغيرة التى ترينها هناك . كانت مس باميلا هى التى تركبه . كانت تمضى الى أعلى المنحدر ثم تنزلق الى أسفل . وفى هذا المكان كانت هناك دواسات ولكنها لم تكن تدور ، وكانت الآنسة الصغيرة تفرمل عندئذ بقدميها ، ولكن كان يحدث أن تهبط بها العربة أحيانا فى الأوركارية .

- ولم يكن هذا بالشئ المريح طبعا .

- أوه .. كانت تتوقف عادة قبل أن تصل الى الأوركارية .. كانت مس باميلا فتاة

جادة ، وكنت أراقبها أحيانا وأنا أمارس عملى . ولكننى لم أكن أبادلها الحديث لأنها كانت متوحشة شيئا ما ، ثم أنها كانت تستغرق تماما فيما تقوم به أو على وجه أصح فيما تعتقد أنها تقوم به .

سألته توبنس وقد أحست فجأة باهتمام نحو باميلا ، وهو شئ لم تحس به نحو مس جينى :

- وماذا كانت تعتقد أنها تفعل ؟

- كانت أحيانا تقول أنها أميرة هندية .. مارى ملكة ايرلندا أو اسكوتلندا .. التى هربت من أعدائها ولجأت الى الملكة اليزابيث تطلب حمايتها . ولكننى أعتقد أن اليزابيث كانت لا تعرف الرحمة .

قالت توبنس وهى تحاول أن تخفى الخيبة التى منيت بها .

- حسنا كل هذا ممتع ومشوق . ولكن من كان هؤلاء القوم ؟

- هم آل باسنجتون .

- وهل عرفت مارى جوردان ؟

- كلا .كان ذلك قبل حضورى الى القرية بقليل . ولكننى أعرف عمن تتحدثين.. عن الجاسوسة الألمانية ، أليس كذلك ؟

وأمسك العجوز لحظة ثم عاد يقول :- وبهذه المناسبة يجب أن تعنى بالحديقة قليلا يا سيدتى ، اذا أردت أن تزرعى بعض الخس أيضا .

- لاريب أنك قمت كثيرا بأعمال الفلاحة فى حياتك أليس كذلك ؟ أعنى ليس فى هذا البيت فقط ولكن فى أماكن أخرى ؟

- هذا صحيح . كنت أمضى عند الجميع تقريبا كان لدى الكثيرين بستانيون لا يصلحون لشئ ، وكان يجب أن أخف للمساعدة فى كل مكان تقريبا فى بعض أوقات السنة . وفى ذات مرة وقع حادث فى نفس هذا البيت .. خطأ وقع عند جنى بعض

الخضر . لم أكن قد أتيت الى القرية فى ذلك الوقت بعد . ولكننى سمعت عن ذلك .

– ألم يكن الأمر يتعلق بقمعية أو بشئ من هذا القبيل ؟

– من الغريب أنك سمعت عن هذه القصة . لقد مر وقت طويل عليها ، وقد وقع أحد أهالى البيت مريضا كما قيل لى .

– أظن أنها الفتاة الألمانية .. وقد أكدوا لى أنها فارقت الحياة .

– المانية ؟ .. الواقع أننى لم أكن أعرف ذلك .

– وربما أكون مخطئة . ولكن قيل لى .. ما رأيك فى أن أضع ترولوف فى أعلا المنحدر كما كانت مس باميلا تفعل .. سيطربنى هذا .

– انتبهى اذن فقد مضى وقت طويل لم يستخدم فيه أحد ترولوف ، وربما يكون قد لحقه الصدأ .. يجب أن أفحصه وأتحقق من ذلك .

– انك على حق .. وسترين بعد أن تفرغ الخضر التى أستطيع زراعتها هنا .

– يجب أن تتوخى الحذر حتى لا تخلطى بين القمعية والحميض ، فلا أريد أن تقع حادثة أخرى بعد أن انتقلت أنت وزوجك للاقامة هنا . هذا بيت جميل يمكنك أن تدخلى به بعض التعديلات اذا كنت تملكين قليلا من المال . حسنا . سأفحص ترولوف الآن . أنه ليس جديدا ولكن هذه اللعب القديمة مازالت صالحة .. منذ اشترى ابن عم لى دراجة قديمة لم تستعمل منذ أربعين عاما ، وبقليل من الزيت استطاع أن يعيدها الى حالتها الأولى .. حقا ، أن قطرة من الزيت لتفعل العجب العجاب .

***

٣

كان تومى عند عودته الى البيت فى بعض الأحيان يجد توبنس فى أشد الأماكن غرابة . وفى تلك الليلة كانت دهشته أكثر من المعتاد فقد بدأت الدنيا تمطر ، ومع ذلك لم يجد لها أثرا فى كل مكان . وخطر له عندئذ أنها ربما تكون فى الحديقة . وفعلا وجدها هناك وقد بادرته بقولها :

– لم أكن أتوقع أن تعود مبكرا هكذا .

– ما هذه اللعبة التى أراها معك ؟

– هل تعنى ترولوف ؟

– بماذا تسمين هذه العربة ؟

– ترولوف .. هذا هو اسمها .

– وهل تنوين ركوبها ؟انها صغيرة جدا بالنسبة لك .

– أعرف ذلك فهى عربة أطفال .

– أظن أنها غير صالحة للاستعمال .

– ليس تماما . ولكن اذا صعدت بها الى أعلى المنحدر يمكن أن تهبط بدون صعوبة..

– وينكسر راكبها معها .

– هل نجربها أمامك ؟

– لا أشعر بأية رغبة فى ذلك . وعلى كل حال فان الدنيا بدأت تمطر . ومع ذلك فاننى أريد أن أعرف فيم تهمك هذه اللعبة القديمة .

– يا الهى .. اننى أتابع تحرياتى . وقد تساءلت أية أشياء يمكن أن تكون مخبوءة فى هذا البيت ، وأتيت لكى أفحص هذه اللعب القديمة التى وضعت فى هذا المستنبت

منذ سنوات وسنوات . وهكذا اكتشفت ترولوف ، وهناك ماتيلد كذلك .

وهو حصان قديم يتأرجح وفى بطنه ثقب .

- ثقب ؟

- نعم . يبدو أن الأطفال كانوا يدسون فيه أشياء كثيرة : أوراق وخرق وغيرها .

- هلمى بنا نعد الى البيت الآن .

* * *

جلست تونس أمام النار التى أشعلتها فى المدفأة بغرفة الصالون وقالت :

- ما هى الأخبار .. ؟ هل ذهبت الى ذلك المعرض الذى أقيم فى الريتز ؟

- كلا . لم يسعفنى الوقت لذلك .

- لم يسعفك الوقت ؟ ولكننى ظننت أنك ذهبت الى لندن لهذا الغرض بالذات .

- ولكن المرء لا يفعل دائما ما كان ينوى .

- ومع ذلك فلابد أنك فعلت شيئا ما .

- وجدت مكانا جديدا لكى أوقف فيه السيارة .

- يمكننا أن تفيد منه على كل حال .. ولكن أين ؟

- بجوار هونسلكو .

- ماذا فعلت فى هونسلكو بالله ؟

- تركت العربة هناك ولا أكثر ثم ركبت المترو .

- لكى تذهب الى لندن ؟

- يخيل لى أنك تتكلم كما لو أنك ارتكبت ذنبا . لا تقل الى جريمة فى هونسلكو.

- كلا . ويجب أن تغتبطى بما فعلت .

- حقا ؟ .. هل اشتريت لي هدية ؟

- كلا ، فأنا لا أدرى أبدا ماذا أقدم لك .

- ومع ذلك فأنك تحسن اختيار الهدايا فى أغلب الاحيان . ولكن ماذا فعلت لكى أغتبط ؟

- قمت أنا الآخر ببعض التحريات .

- يبدو أن الجميع يقومون بتحريات فى أيامنا هذه . ولكن فيم كانت تحرياتك ؟ . هى كانت تدور حول الجزازات ؟

- لا أدرى لماذا تفكرين فى الجزازات .

- لأننى أعلم انك تتوق الى شراء واحدة منذ وقت طويل .

- انما تقوم فى هذا البيت بأبحاث تاريخية .. تدور حول الجرائم والأحداث الغريبة التى وقعت منذ ستين أو سبعين سنة . والحق أن تحرياتى تلتقى بأبحاثك وأن كنا نستخدم وسائل مختلفة .

- هل تعنى انك تهتم الآن بمسألة مارى جوردان .وبهذه المناسبة ، ألا ترى انه اسم عادى ؟ .. وأنها اذا كانت المانية حقا فلا يمكن أن يكون هذا هو اسمها . انهم يقولون انها المانية ، ولكن لعلها كانت انجليزية على الرغم من هذا الادعاء . هل لك أن تستمر فى تفسيرك .. انك حتى الآن لم تخبرنى بشئ تقريبا .

فان فى مقدورنا أن نكتشف بعض النقاط من مجرد الاهتمام باللعب القديمة ومن سؤال البستانيين والسيدات المسنات والبائعات اللاتى لا يروين لك بالطبع الا قصصا مملة .

- ومع ذلك فقد عرفت بهذه الطريقة حقائق ذات أهمية . ولكن أين بلغت أنت من تحرياتك .

- لا ريب أنك تتذكرين اننى سبق أن وجدت نفسى فى بعض الظروف على صلة بأناس على علم بمثل هذه الأماكن المناسبة ويستطيعون أن يقدموا معلومات أكيدة بهذه

الطريقة ، يمكنهم أن يفحصوا شهادات الزواج والوفاة وان يبحثوا عن الوصايا .

– هل أنفقت مبالغ جسيمة للقيام بمثل هذه الأبحاث ؟ .. ظننتك تريد التوفير .

– الواقع انه بدا لى أن هذه المبالغ قد انفقت فى موضعها نظرا للاهتمام الشديد الذى توليته لهذه المسألة .

– هل حصلت على معلومات على الأقل ؟

– لا تتعجلى هكذا .. لابد من قليل من الصبر .

– هل سيأتونك مثلا ويقولون لك أن مارى جوردان ولدت فى مكان كذا ، وهل ستذهب بعد ذلك الى المكان المذكور لكى تقوم بأبحاث تكميلية .

– ليس تماما . هناك أيضا نتائج الاحصاء وشهادات الوفاة التى تبين سبب الموت ونقاط أخرى كثيرة . كما يمكن أن نقلب فى الجرائد القديمة والالتقاء ببعض الناس والارتباط من جديد بالأصدقاء القدامى الذين عرفناهم فى ذلك الوقت الذى كنا ندير فيه مكتبنا الخاص للابحاث والاستقصاء فى لندن . ان وسائلنا ليست نفس الوسائل ولكن ربما كانت وسائلك أفضل على الرغم من ذلك . لن أنسى أبدا ذلك اليوم الذى دخلت فيه بنسيون سان سوس ووجدتك منهمكة فى شبك الصوف .

كنت تطلقين على نفسك اسم مسز بلينكينسوب فى ذلك الوقت .

– ذلك لأننى لم أجد شخصا يقوم بتلك الأبحاث مكانى .

– وعندما تسللت فى دولاب الثياب فى الغرفة المجاورة لتلك التى كنت اقيم فيها. انك عرفت بهذه الطريقة أين كنت أنوى الذهاب وماذا كنت أريد أن أفعل ، وتمكنت من الوصول الى المكان المقصود قبلى. وهذا العمل اسمه التصنت على الأبواب لا أكثر ولا أقل وهو عمل غير سليم اطلاقا .

– ولكنه جاء بنتائج مرضية جدا .

– صحيح أن لديك موهبة النجاح نوعا ما .

– سنجلو سر اللغز . الذى يشغلنا فى هذه اللحظة فى يوم ما ، ومع ذلك فان هذه الأحداث بعيدة جدا بحيث أنه لا يسعنى الا أن أتساءل اذا كان لكل هذا أهمية ما . لا أظن ذلك . ولكننى أعرف ما يجب علينا أن نفعل الآن .

– وما هو ؟

– مواجهة ستة احتمالات قبل الافطار صباح الغد . ان الساعة الآن الحادية عشرة الا الربع وأريد أن أنام ، ومع ذلك فيجب أن أغتسل أولا وأن أصلح من ذات نفسى لاننى اتسخت جدا لفرط اهتمامى بهذه اللعب . ثم اننى أظن أننا سنعثر على أشياء أخرى فى هذا المستنبت . حسنا . سأذهب الى غرفتى .

– لا تنسى .. ستة احتمالات قبل الافطار .

– اننى واثقة اننى سأغلبك فى هذا المضمار .

– أعرف أنك تهتدين أحيانا الى اكتشافات مدهشة .

– ولكنك تخطئ أقل منى .. عموما .. وهذا أمر محنق .. ولكن كل هذه المضايقات تأتينا لاختبار عودنا وصبرنا .

– حسنا . اذهبى الآن ونفضى عنك غبار السنوات الماضية . وبهذه المناسبة هل اسحاق بستانى قدير ؟

– هو نفسه مقتنع بهذا ، ويمكننا أن نجربه على كل حال .

– لسوء الحظ أننا لا نفهم شيئا كثيرا فى فلاحة البساتين .. لا أنت ولا أنا ، وهذه مشكلة أخرى .

***

٤

تمتمت تونس :- ستة احتمالات قبل طعام الافطار وازدردت فنجانا من القهوة وراحت تتأمل بيضة مقلية بقيت فى الطبق ومعها كلوتان محمرتان شهيتان وقالت تحدث نفسها :

- أنا أتناول الافطار الأفضل بكثير من التفكير فى الأشياء المستحيلة . ولكن تومى هو الذى سعى خلف الأبحاث المستحيلة .

وبدأت تأكل البيضة والكلوتين وهى تقول :

- ان من دواعى السرور أن يجد المرء افطارا متنوعا .

كانت تقنع منذ صباح ، منذ وقت طويل بفنجان من القهوة يعقبه كوب من عصير البرتقال أو الليمون ، ولم تكن تقدر مثل هذا النوع من الأفطار على الرغم من انه كان مرضيا عندما تكون أمام مشكلة عويصة تحتاج الى استجلاء غوامضها . أما الأطباق الساخنة الموضوعة فوق المائدة فكانت تفتح الشهية لأطباق أخرى أسهل هضما .

- أظن أن آلا باركنسون كانوا يتناولون طعاما كهذا .. بيض مقلى ومعه بيكون وكلاو أو أى شئ آخر .

وأمسكت فجأة فقد تناهت الى سمعها أصوات غريبة وقالت :

- ما الخبر ؟ .. ما هذه الأصوات المتنافرة ؟

ورفعت عينيها حين دخل البيرت غرفة الطعام وسألته :

- ما الخبر يا ألبيرت ؟ لا تقل لى ان العمال جاءوا بأرغن أو بشئ آخر من هذا القبيل .

- كلا يا سيدتى . ولكنه الرجل الذى جاء لاصلاح البيان .

- هل أفلحت فى العثور عليه أخيرا ؟ .. انك مدهش يا ألبيرت .

ابتسم الخادم مسرورا وقال :

- وهو يقول ان البيان كان بحاجة ماسة الى الاصلاح .

- لست أشك فى هذا .

واحتست تونس فنجانا آخر من القهوة ثم نهضت ومضت الى غرفة الصالون حين رأت شابا منحنيا فوق البيان خاطبها قائلا :

- صباح الخير .

- صباح الخير . يسرنى أنك أسرعت بالمجئ .. اننا انتقلنا الى هذا البيت حديثا ، والبيان لا يتحمل النقل من مكان الى آخر وفوق ذلك فانه كان بحاجة الى الاصلاح منذ وقت طويل .

- هذا ما تحققت منه .. ولكنه بيان جميل وثمين .

- نعم . انه من طراز ايرارد .

- لن تجدى بيانا من طرازه بسهولة فى أيامنا هذه .

- ومع ذلك فقد مر بأيام عصيبة .. قصف الحى الذى كنا فيه أثناء الحرب ، ولحسن الحظ لم نكن موجودين فى ذلك الوقت .. على أن بيتنا لم يتعرض لأضرار كبيرة .

واستمر الحديث بضع لحظات ، ثم بدأ الشاب يعزف الايقاعات الأولى لمقدمة شوبان ، وانتقل منها الى قطعة من الدانوب الأزرق الجميل ، ولم يلبث أن قال انه فرغ من عمله ، ثم أردف يقول وهو يلقى نظرة حوله :

- لاريب أنك وجدت مشقة كبيرة لكى يكون هذا البيت صالحا للسكنى ؟

- نعم . خاصة وانه بقى مدة طويلة لا يسكنه أحد .

- وقد انتقل الى ملاك كثيرين قبلكم .

- سمعت أن له قصة طويلة .. اننى أتكلم عن أناس أقاموا فيه فى وقت من

الأوقات . وقد أكدوا لى أن أحداثا غريبة وقعت فيه .

- أوه .. انك تشيرين الى أمور غريبة جدا .

- وكانت لها علاقة ببعض الأسرار الحربية .

- سمعت عن كل هذا فى الواقع ، ولكننى لم أكن قد ولدت بعد فى ذلك الوقت .

وعندما انصرف الشاب جلست تونس أمام البيان ، وراحت تجرى بأصابعها على المفاتيح مصدرة بعض الأنغام ، ثم أخذت تعزف مقطوعة راحت تدندن بكلماتها قائلة :

رحل حبى عنى

أوه .. لماذا ترحل بعيدا عنى ؟

العصافير تشدو فى الغابات الفسيحة

وقلبى ينتظر عودة الصديق الوفى .

وتمتمت :

- أظن اننى لا أعزف كما ينبغى .. ولكن هذا لا يهم .. لقد تم اصلاح البيان أخيرا . وقلبى ينتظر عودة الصديق الوفى .. الصديق الوفى ،، ترولوف (ومعناها الحبيب أو الصديق الوفى) .

نهضت المرأة العجوز ومضت ، فاستبدلت حذاءها ، ولبست يلوفر ، ثم هبطت الى الحديقة . كان ترولوف فى مكانه من المستنبت فأخرجته وجرته حتى قمة المنحدر . ونظفته على عجل بخرقة احضرتها لهذا الغرض وركبت فوقه ووضعت قدميها فوق الدواستين وقالت :

- والآن ، هلم بنا يا ترولوف .. ولكن لا تسرع . ورفعت قدميها عن الدواستين وجعلتهما فى وضع يمكنها من أن تفرمل عند الضرورة . ولم يبد ترولوف أى انفعال ، ولكن المنحدر استطال فجأة ، وراحت تونس تفرمل بكل ما أوتيت من قوة .وعلى

ونهضت وهي تتنهد وهبطت الممر عائدة الى المستنبت ووجدت ماتيلد فى ركن منه

مهجورة وحيدة ، ولكن شيئا آخر لفت نظرها . رأت كرسيين صغيرين من الصينى مرسوم على كل منهما بجعة ، أحدهما أزرق غامق والآخر أزرق فاتح .

– أظن أننى رأيت عند عمتى كرسيين مشابهين عندما كنت طفلة صغيرة . وكانا فى الفراندة وقد أطلقوا عليهما اسمى أوكسفورد وكامبريدج ولكن كان مرسوما على كل منهما بطة . وفى وسط كل منهما ثقب صغير كهذا . سأطلب من اسحاق أن ينظفهما ويمكننا أن نضعهما فى الفراندة .

وتحولت تويتس لكى تخرج ولكنها تعثرت فى الحصان الأرجوحة فقالت :

– أوه ، يا الهى !

واصطدمت قدمها بالمقعد الصينى ذى اللون الأزرق الغامق فوقع وانكسر فقالت :

– آه .. ها اذا قد قتلت اكسفورد .. لا أظن أن من الممكن اعادة لصقه .. علينا أن نقنع بكامبريدج .

* * *

وفى أثناء ذلك كان توماس بيرسفورد منهمكا فى حديث مع صديق قديم .. وقد قال له هذا الأخير ، واسمه الكولونيل اتكنسون .

– علمت انك أقمت أنت وزوجتك فى الريف ، وفى مكان ما بجوار هولوكامى . واننى أتساءل ما الذى حملك على الذهاب هناك . أهو سبب خاص ؟

– اننا اشترينا البيت بثمن معقول وهذا كل شئ .

– ما اسمه . يجب أن تذكر لى عنوانك .

– قد تدعوه بفيللا الأرز لان أمامه شجرة أرز جميلة ، ولكنه يعرف الآن باسم "بيت الغار" .

- بيت الغار .. بيت الغار .. فى هولوكاى .. لعمرى .ما الذى يدور فى رأسك ؟

رفع تومى عينيه على الفور وعاد الكولونيل يقول :

- هل تدبر شيئا ؟ .. أتكون قد عدت الى الخدمة ؟

- اننى فى سن متقدمة لا تصلح للخدمة ..ثم اننى اعتزلت هذا النوع من العمل .

- هذا هو السؤال الذى ألقيه على نفسى بالذات . لعلهم أوصوك أن تقول هذا .

وعلى كل حال فهناك نقاط لم تكتشف بعد فى تلك المسألة .

- عن أية مسألة تتكلم ؟

- عن فضيحة كاردنجتون التى تلت قصة خطابات الغواصة .

- يبدو لى أننى سمعت شيئا غامضا عن ذلك .

- الواقع أن هذه الفضيحة لم يكن لها شأن بالغواصة . ولكن هذه المسألة الأخيرة هى التى لفتت النظر الى المسألة الأولى . ثم جاءت هذه الخطابات فكشفت كل شئ على صعيد السياسة ، ولو أنهم استطاعوا الاهتداء اليها لتغيرت أمور كثيرة ولتورط أناس كثيرون كانوا يشغلون فى ذلك الوقت مراكز مرموقة فى الأوساط الحكومية . وأن من الغريب أن نرى كيف تجرى الأمور ، فالخونة غالبا ما يشغلون مراكز مرموقة ، وهم آخر من ترقى اليهم الشبهات . ولهذا السبب بالذات بقيت نقاط كثيرة فى هذه المسألة لم يستطع أحد جلاء غموضها ، ولعلهم أرسلوك لالقاء نظرة فى تلك النواحى .

- نظرة على أى شئ .

- خطر لمجلس أمن الدولة أن مستندات ذات قيمة قد تكون مخبوءة فى ذلك البيت الذى تقيم فيه الآن ، وأنها ربما أرسلت الى الخارج .. وقد تكلموا عن ايطاليا .. فى الوقت الذى تتيه فيه الجناة . وخطر لآخرين أن المستندات المذكورة مخبوءة فى مكان ما بالنواحى ، وأن بيتا قديما كذلك الذى تقيم فيه يحتوى على أقبية وممرات سرية وأماكن أخرى يمكن اخفاء أشياء معرضة للشبهة فيها . هيا يا تومى وكن صريحا .. اننى أشك

فى أنك تطارد صيدا جديدا .

– أؤكد لك أننى لم أعد أهتم بمثل هذه الأمور .

– كذا ! .. هذا ما كنا نعتقده فى بداية الحرب الأخيرة عندما ألقيت القبض على ذلك الألمانى . كان عملا جميلا جدا ومن الجائز أنك فى هذه اللحظة بالذات تجرى خلف صيد جديد .

– هراء كل هذا . لا يجب أن تحشو رأسك بمثل هذه الأفكار . فما أنا الآن الا رجل عادى .

– يالك من عجوز ماكر . اننى مقتنع بأنك تتظاهر بالبراءة ولكنك خير ألف مرة من أى شاب من عملائنا الشباب . غير اننى أظن أنه لا يجب أن ألقى عليك أسئلة معينة لكى لا تخون أسرار بلدك . ومهما يكن من أمر فاحرص على زوجتك فانك تعلم أنها جريئة وعنيدة ولا تنس أنها نجت من الموت مرة قبل ذلك .

– أنها لا تهتم اطلاقا فى هذا الوقت الا بتاريخ القرية وبالناس الذين يعيشون فيها والذين عاشوا فيها فيما مضى ، وكذلك فى حديقتها وفى زهور التيوليب التى تنوى زراعتها .

– ربما أصدقك اذا مرت سنة دون أن يحدث شئ غير عادى . ولكننى أعرفك وأعرف مسز بيرسفورد كذلك . انكما زوجان غريبان واننى لأراهن على أنكما لن تلبثا أن تكشفا القناع عن جاسوس آخر . اذا حدث وظهرت هذه المستندات فسوف يكون لذلك ضجة كبيرة فى دنيا السياسة ، وسيجد بعض الأشخاص أنفسهم فى موقف سيئ . أشخاص مشهورون فى هذه اللحظة بأنهم نماذج للاستقامة ولا يعتبرهم أحد بأنهم مصدر خطر . لا تدع هذا يغيب عن ذهنك وتوخ الحرص اذا ما حاولت أى شئ . وأوصيك مرة أخرى أن تحرص على زوجتك ، فلا توجد فى الألف واحدة مثلها ، وانى لأرثى لذلك الذى ستطارده . ولعلها الآن ، فى هذه اللحظة بالذات تطارد شخصا ما .

– أن ذلك ليدهشنى . مما لاريب فيه أنها تتناول الآن الشاى مع سيدة عجوز .

– ان السيدات المسنات يمكنهن أن يدلين فى بعض الأحيان بمعلومات مفيدة . هن والأطفال . فى مقدور أبعد الناس عن الذهن الادلاء بحقائق لا تخطر على بال أحد . أستطيع أن أقول لك الكثير فى هذا الصدد .

* * *

نظر تومى الى المنظر الذى يجرى أمام عينيه وقتم بين أسنانه :

– ان هذا الحيوان يعرف على العموم خفايا امور . ولكن كل هذا أصبح يمت الى الماضى والأحادث السابقة لحرب ١٩١٤ لا يمكن أن يكون لها أية أهمية الآن .

واستغرقته الأفكار .. ظهرت فى الأفق أفكار جديدة للسوق المشتركة مثلا . ان انجلترا الآن مختفية عما كانت عليه وقتئذ .. ولكن أتراها مختلفة عما كانت فى الواقع ؟ .. ان الوحل يوجد دائما تحت سطح البحر ، والماء ليس رقراقا فيما بعد الحصى التى تنتشر فى قاع النهر أو فيما بعد الاصداف التى تفترش قاع البحر هناك دائما شئ يحرك .. شئ عكر .. ولكن ليس فى مكان كهولوكاى بكل تأكيد . ان المنطقة لم تعد كما كانت من قبل . كانت قرية صيادين وأصبحت مصيفا انجليزيا لا يؤمه الا نفر قليل فى شهر أغسطس لأن أغلب الناس اليوم يفضلون قضاء الصيف فى الخارج .

غادرت توبنس مائدة العشاء ومضت الى الصالون لاحتساء القهوة أمام المدفأة حيث تشتعل نار هادئة . وقالت تسأل :

– حسنا . هل استمتعت بيومك ؟ .. كيف وجدت صديقك العجوز ؟

– كأى رجل عجوز .. وصديقتك أنت ؟

– لم أرها ان مصلح البيان أقبل اليوم ثم أمطرت الدنيا بعد ذلك . وهنا أمر

مؤسف فلعلها كانت تخبرنى بأشياء مثيرة للاهتمام .

– لقد أثار صديقى الكولونل اتكنسون اهتمامى حقا .. ما رأيك فى هذا المكان الذى استقررنا فيه ؟

– هل تتكلم عن البيت ؟

– ليس عن البيت فحسب وانما عن المنطقة كلها .

– يا الهى ! .. انها قرية مستحبة .

– ماذا تعنين بكلمة مستحبة ؟

– اننى أعرف أن هذه الكلمة مدعاة للاحتقار فى أغلب الأوقات ولا أدرى لماذا ؟ وأظن أن المكان المستحب هو الذى يطيب للمرء الاقامة فيه والذى يحب ان لا يقع له فيه مكروه وان كاد يقع لى اليوم شئ بغيض .

– ماذا تعنين ؟ .. هل أقدمت على حماقة ما ؟

– كلا بالطبع .

– اذن ؟

– هل تعرف اللوح الزجاجى الذى يغطى المستنبت ؟ كان يهتز أمس شيئا ما وقد أوشك أن يقع اليوم فوق رأسى ، وكان من المحتمل أن يقتلنى . ولكننى كنت مجدودة حقا ومع ذلك فقد ملئت خوفا ورعبا .

– يجب أن نطلب من اسحاق أن يأتى ويفحص كل هذا ، فلا أريد أن يقع لك شئ..

– أظن أنه عندما يشترى امرؤ بيتا قديما فلابد أن يتوقع مشاكل من هذا النوع .

– هل تظنين أن فى هذا البيت شيئا غير عادى ؟

– ولماذا يكون فيه شئ غير عادى ؟

– لأننى عرفت بعض النقاط الغريبة .

- بخصوص البيت ؟

- نعم .

- ولكن هذا يبدو مستحيلا يا تومى .

- ولماذا ؟ .. الأنه يبدو برئ المظهر ، ولأنه أعيد طلاؤه من جديد ؟

- كلا . ان مظهره البرئ وطلاءه الجديد من عملنا نحن ، لأنه كان فى حالة يرثى لها عندما اشتريناه .

- كان ثمنه معقولا لهذا السبب بالذات .

- ان أمرك غريب يا تومى .. ما الخبر ؟

- لقد طلب منى الكولونل اتكنسون أن لا أقدم على أية حماقة وأن أحافظ عليك على وجه الخصوص .

- لا أرى ما يجب أن أخشاه حقا .

- فى رأيه أننا فى مكان يجب أن نتوخى فيه الحذر .

- ما معنى هذا بحق الشيطان ؟

- انه مقتنع أننا ، هنا فى هذا البيت ، فى عمل رسمى كما كنا فى الماضى وأن مجلس أمن المدينة هو الذى أرسلنا لكى نكتشف ما قد يكون فيه من غربة أو غموض..

- اننى اتساءل هل أنت الذى تحلم يا تومى أو هل أوعز ذلك الكولونل الهمام اليك بشئ ما .

- يبدو أنه يعتقد حقا أننا هنا للقيام بعمل معين لكى نكتشف شيئا ما .

- نكتشف ماذا ؟

- شيئا يمكن أن يكون مخبوءا فى البيت .

- تومى ؟ .. هل جننت . أو لعله هو الذى أصابه مس ؟

- ظننت أنه جن فى بادئ الأمر ولكننى لم أعد متأكدا من ذلك الآن .
- وماذا يمكن أن نكتشف فى هذا البيت ؟ .. كنزا ؟ .. جواهر التاج الروسى ؟ .
- انه لم يتحدث عن كنز وانما عن مستندات يمكن أن تكون خطرا علي أحد .
- الواقع أن هذا غريب .
- هل اتفق واكتشفت شيئا .
- كلا . ولكن يبدو أنه وقعت هنا فضيحة ما منذ وقت طويل . ليس هناك من يتذكر عنها شيئا الآن ، ولكنها قصة يتناقلونها جيلا بعد جيل ، ولبياتريس صديقة يظهر أنها على علم بفضيحة تورطت فيها مارى جوردان .

- ألا تطلقين العنان لخيالك قليلا يا توبنس ؟ .. أو لعلك تظنين أنك عدت الى أيام شبابك المجيدة ، الى ذلك الماضى البعيد حيث عهد راكب بالباخرة الباسيفيك بمستندات سرية الى فتاة معينة .. أتراك تعتقدين أنك تعيشين من جديد تلك المغامرة التى طاردنا فيها مستر براون الغامض؟

- يا الهى ! .. كم يبدو كل هذا بعيدا .. انه أصبح بعيدا جدا بحيث يخيل لى أنه أضغاث أحلام لا تمت الى الحقيقة .

- ومع ذلك فهى الحقيقة الحقة .

- ماذا قال لك اتكنسون بالذات ؟

- اذا كنت قد فهمت حقا فان الأمر يتعلق بخطابات من شأنها أن تثير ضجة فى الصعيد السياسى يمكن أن تودى برجل يشغل مركزا مرموقا .

- وهل يرجع تاريخ هذه المستندات الى عهد مارى جوردان ؟ . يبدو هذا غير معقول . لاريب أنك نمت فى القطار ورأيت كل ذلك فى المنام . ولكن حيث أننا فى المكان فيمكننا أن نلقى نظرة على كل حال .

- لا أستطيع أن أصدق ذلك أنا الأخرى ، فان أناسا كثيرين أقاموا فى هذا البيت

منذ ذلك الوقت البعيد .

- هذا لا يمنع من أن ننقب قليلا هنا وهناك ،عندما لا نجد ما نفعله . وعندما تنحنى ظهورنا من التعب بعد زرع بصيلات التيوليب . دعنا نفكر لحظة .. اذا أردت أن أخفى شيئا فما هو المكان الذى اختاره والذى يخيل لى أنه لن يخطر على بال أحد .

- نظرا الى كل الناس الذى أقاموا فى البيت .. الأولاد والبستانيين والمشرفات والسماسرة وغيرهم ، فانه يبدو لى أن من العسير أن تبقى أية مستندات مدفونة هنا سنوات وسنوات .

- من يدرى ؟ قد تكون مخبوءة فى مكان لا يتوقعه أحد .. كابريق شاى مثلا ..

ونهضت تونس واقتربت من الموقد ، وصعدت فوق كرسى لكى تصل الى أبريق شاى قديم فتحت غطاءه وقالت :

- انها ليست فى هذا الابريق على كل حال .

وقطبت جبينها قليلا ثم أردفت فى صوت يشوبه الأمل أكثر من الخوف :

- هل تظن أن شخصا ما أوقع عامدا اللوح الزجاجى للمستنبت فى محاولة لكى يقتلنى .

- هذا قليل الاحتمال .

- لا يهم .. انما راق لى أن أظن أننى أفلت من الموت .

- مهما يكن من أمر فيجب أن تتوخى الحذر .. وسأراقبك عن كثب .

- انك تشغل نفسك كثيرا بأمرى .

- يجب أن تهنئى نفسك لأن لك زوجا يشغل نفسه بأمرك .

- ألم يحاول أحد أن يطلق عليك النار ، أو أن يخرج القطار عن مسارة ؟

- كلا . غير أننا سنفحص فرامل السيارة ونتحقق منها عندما نخرج مستقبلا .

ولكن اذا أردت الحق فان كل هذا يبدو مضحكا .

وعادت توبنس تقول :

– مضحك جدا .. ومع ذلك .

– ماذا ؟

– حسب الكسندر باركسون أنه يعرف من الذى قتل مارى جوردان ، وقد كتب يقول " واحد منا " . يجب أن نعرف من كان يقصد بهذه العبارة ، ومن الذى كان موجودا وقت ارتكاب الجريمة . والواقع أنها جريمة يجب أن نجلوها . يجب أن نرجع القهقرى الى ذلك الوقت بالذات ونحاول أن نعرف ما الذى حدث حقا . ولماذا ؟ .. هذا شئ لم نحاوله قبل ذلك .

قال مستر بيرسفورد عند عودته الى البيت فى اليوم التالى :

– أين ذهبت بحق الشيطان يا توبنس ؟

– وجدت نفسى فى القبو ، فى آخر مرحلة .

– ظننت ذلك فان شعرك تكسوه خيوط العنكبوت .

– وكيف يكون الأمر غير ذلك ؟ .. ان القبو ملئ بها .. ليس فيه شئ آخر اللهم الا بضع زجاجات من الطافيا ، وكلها مختومة لا يدل مظهرها على أن أحدا خبأ فيها شيئا .

– اذن فقد فتشت القبو ؟

– يجب ان نبدأ من مكان ما على كل حال . واذا كان صديقك قد أصدقك القول فيحتمل أن يكون هناك شئ مخبوء هنا ، ولكن من العسير أن نتصور فى أى مكان ، فانك عندما تشترى بيتا تشتريه خاويا من كل شئ ، فعند موت المالك يتخلص الورثة من أغلب الموجودات بحيث لا يبقى شئ خاص به .

– اذا كان الأمر كذلك فلماذا يحاولون الاعتداء علينا ؟ .. لماذا يحاولون ارغامنا على مغادرة المكان ؟

– هذه فكرة من بنات أفكارك وقد لا تستند على أساس ، ومهما يكن فاننى لم أفقد يومى ، فقد وجدت بعض الأشياء .

– أهى تتعلق بقضية مارى جوردان ؟

– ليس بصفة خاصة . لم تسفر زيارة القبو عن شئ كما قلت لك ، فلم أجد فيه غير بعض معدات التصوير ومصباح احمر تالف وبعض الحقائب القديمة الممزقة وأشياء أخرى من هذا القبيل .

– اذن فقد أخفقت ؟

– اننى استمررت فى بحثى على كل حال . ولكن قبل أن أتكلم عن هذا أحب أن أذهب لكى أغتسل وأتخلص من خيوط العنكبوت هذه .

غادرت مسز بيرسفورد الغرفة وصعدت الى الطابق الأول ، وعندما هبطت بعد لحظات قدم لها زوجها كأسا من الكوكتيل جرعته على مهل ثم قالت :

– لكى أوصل ما انقطع أقول لك اننى قلت لنفسى اننى اذا أردت أن أخفى شيئا فى هذا البيت لا يستطيع أن يكشفه أحد فيما بعد فأين أضعه ؟

– هذا قول منطقى تماما .

– وانتهيت الى أن خير مكان هو بطن ماتليد .

– عفوا ؟

– ماتيلد هو الحصان الأرجوحة ، وببطنه ثقب وقد خرجت منها أوراق كثيرة ولكن لا أهمية لها . ثم هناك ترولوف وكرسى من المخمل مكسور ولكننى لم أجد فيهما أى شئ ، واستمررت ألقى على نفسى نفس السؤال وفكرت أخيرا فى الكتب ، فانه يحدث أحيانا أن يدس المرء فيها أشياء مختلفة ، ولكننا لم نفرغ من فحص كل الكتب الموجودة فى السندرة بعد .

– كنت أظن أننا فرغنا منها .

– لم نفرغ منها كلها ، فما زالت هناك بعض الكتب فى الرف العلوى . وقد ذهبت لالقاء نظرة عليها ، وأغلبها عبارة عن مجموعة من المواعظ كتبها قسيس ميتودى ولا أهمية لها طبعا . ولكننى عندما نقلت كل هذه الكتب من مكانها اكتشفت شيئا ، فقد حفر بعضهم فى الجدار خلفها حفرة عثرت فيها على أشياء كثيرة لاسيما بعض الكتب الممزقة ، وبينها كتاب ضخم ملفوف بورق أسمر ، فماذا تظنه ؟

– ليس لدى أية فكرة .. قد تكون الطبعة الأولى من رواية روبنسون كروزو .

– بل هو البوم للصور التذكارية .

– ألبوم للصور ؟ .. وماذا فى ذلك ؟

– انه البوم قديم .. قديم جدا .. يرجع عهده الى بعيد .. الى عهد آل باركنسون أو من قبلهم . وقد خطر لى أننا قدنجد فيه شيئا .

– مستندات مدسوسة بين الصور ؟

– نعم . ولكننى لم أجد شيئا من ذلك . ولو أن الأمر كان كذلك لكان جميلا جدا . ومع ذلك فقد رحت أقلب صفحاته . ولم أفرغ منه بعد ولكن قد أعثر فيه على أسماء تثير الاهتمام .

قال تومى فى شئ من الشك :

– هذا جائز .

– وبعد ذلك فحصت الدواليب وعثرت فيها على شئ .

– وما هو ؟

– تحف صينية دقيقة .. فى ذلك الدولاب الذى لم نستطع فتحه لأننا لم نجد مفتاحه ، هل تتذكر ؟ .. حسنا . عثرت على المفتاح فى علبة قديمة فوضعته فى الزيت واستطعت بهذه الطريقة أن أفتح الدولاب . ولم أجد به غير التحف الصينية كما قلت لك ، وكلها عديمة الأهمية . والشئ الوحيد الذى قد يفتح أمامى آفاقا جديدة هو ذلك

الألبوم التذكارى ، وقد عثرت فيه حتى الآن على اسم وينفريد موريسون .

– وعلام يدل هذا الاسم ؟

– هو اسم مسز جريفين قبل أن تتزوج .. أعنى السيدة العجوز التى تناولت معها الشاى فى اليوم الأسبق . انها عاشت هنا دائما ، وقد تتذكر بعد بعض الأشخاص المدونة أسماؤهم فى هذا الألبوم .

– ألا ترين أنه قد يكون من الخير لنا أن نتخلى عن كل ذلك . لماذا نحاول أن نعرف من الذى قتل مارى جوردان ؟

– ألا تريد أن تعرف ذلك ؟

– كلا . أو على الأقل .. أوه .. اننى أستسلم وأمرى لله .. أظن أنك أصبتنى بالعدوى .

– ألم تجد شيئا من ناحيتك .

– لم يسعفنى الوقت لذلك ، ولكن مازالت لدى مصادر أخرى للمعلومات .

– كل هذا يبدو سخيفا ، ولكنه قد يكون مسليا .

– ربما يكون أقل تسلية مما تظنين .

***

٥

تنهد توماس بيرسفورد وقال :

– اننى أتساءل ماذا تفعل توبنس فى هذه اللحظة ؟

– معذرة .. لم أفهم ما تقول .

حول توماس بصره ونظر الى مس كولودون فى انتباه ، وهى فتاة عانس نحيفة وهزيلة ، كان يبدو أنها غسلت شعرها الأبيض لتوها .

– لا شئ يا مس كولودون .. اننى .. أظن أننى كنت أفكر فى صوت مرتفع . هذا كل شئ .

وراح يفكر وهو يحرص على أن لا يعبر عن أفكاره بصوت عال هذه المرة .. ماذا تراها تفعل فى هذه اللحظة .. لاريب أنها تقوم بحماقة ما .. انها قمينة بأن تقتل نفسها بأن تهبط المنحدر فى تلك العربة اللعينة واذا لم تقدم على أية حماقة من هذا النوع فقد تقدم على شئ فيه خطورة . وتذكر بعض الأحداث التى وقعت فى الماضى .

وعادت الى ذاكرته بضعة أبيات من الشعر فراح يقول :

باب القدر وباب الصحراء .

أيتها القافلة .

اذا كان لابد من عبورها فكفى عن الغناء أقلا تسمعين .

هذا الصمت الأزلى حيث تموت العصافير .

ومع ذلك أفليست هذه زقزقة عصفور .

قالت مس كولودون على الفور مسببة له شيئا من الدهشة :

– فليكر ..

وهو يقول فيما بعد " قافلة الموت .. الكهف الملعون وقلعة الموت . " .

نظر تومى اليها مشدوها . لاريب أنها كانت تظن أنه يطرح عليها معضلة أدبية ، ويريد أن يمتحن معلوماتها ، لكى تذكر له من الذى كتب هذه القطعة . وقال فى شئ من الاعتذار :

- انما كنت أفكر فى زوجتى لا أكثر .

نظرت العانس اليه فى شئ من الرثاء ولسان حالها يقول لاشك أنه يعانى من متاعب زوجية . وأسرع يسألها اذا كانت قد اهتدت الى ما طلبه منها أمس الأول فقالت :

- نعم . ولم أجد عناء يذكر . ان دار البلدية مفيدة جدا فى مثل هذه الحالات ، وقد اهتديت الى بعض الأسماء والعناوين وبعض التوراخ كذلك .

- هل وجدت نساء كثيرات باسم مارى جوردان .

- نعم .. مارى وبوللى ومولللى ولكننى لا أدرى اذا كانت احدى هؤلاء الثلاث هى التى تتحرى عنها .

وناولته ورقة مكتوبة على الآلة الكاتبة وقالت :

- ولكننى لم أجد عنوان الميجور دالريف . يبدو أن الناس يروق لهم التنقل من مسكن الى آخر بدون انقطاع فى أيامنا هذه . ومع ذلك فاننى أرجو أن أتمكن من الحصول على عنوانه بعد يومين أو ثلاثة .. ولكن اليك عنوان الدكتور هازلتين ، فهو لا يزال يقيم فى سور بيتون .

- أشكرك ، ربما أستطيع أن أبدأ به .

- ألديك أمورا أخرى تريد معرفتها ؟

- نعم . ولكن قد لا يكون بعضها من اختصاصك .

أجابت مس كولودون فى توكيد :

- يجب على الانسان أن يكيف نفسه لكل شئ وأن يتمكن من الاغتراف من كل المصادر . منذ وقت طويل ، عندما بدأت مهنتى هذه قدم لى مكتب سلفريدج للأبحاث خدمات جليلة . كان فى مقدور أى امرئ أن يلقى الأسئلة عن أشد الأشياء غرابة واذا كانوا لا يستطيعون تقديم الرد فانهم كانوا يذكرون له دائما أين يجد ما يريد فى أسرع وقت . ولكن كل هذا أصبح فى الماضى .

ونظرت العانس الى ساعتها وهتفت تقول :

- يا الهى ! يجب أن أنصرف ، فلدى مسألة هامة لابد أن أفرغ منها .

***

كان تومى بعد ذلك على موعد فى مطعم متواضع بشارع توتنهام .. مع رجل متوسط العمر هب واقفا عند دخوله وصاح :

- تومى اشقر ! .. اننى لأتساءل هل كنت أعرفك فى الشارع .

- ماذا تريد ؟ .. ان شعرى تغير لونه الآن وأصبح كله أبيض .

- كم مضى علينا دون أن يرى أحدنا الآخر ؟ .. سنتان أو عشر سنوات .

- انك تبالغ يا صديقى ..اننا التقينا وتناولنا العشاء معا فى نوفمبر الماضى .

- هذا صحيح .. بماذا تهتم الآن ؟ .. بالتجسس دائما ؟ ..

- أبدا يا عزيزى موتون تشوب .

- اننى أصبحت طاعنا فى السن بحيث لا أستطيع ان أخدم بلادى فى هذا المضمار..

- أليس هناك وجود لمكافحة الجاسوسية ؟

- بل لها وجود ولكننى أظن أنهم أسندوها الى أبرع الرجال ، أعنى هؤلاء الذين يتخرجون من الجامعة ويحتاجون الى العمل . أين أنت الآن ؟ اننى أرسلت اليك بطاقة

فى عيد الميلاد ولكنها أعيدت الى وعليها هذه العبارة : غير معروف فى العنوان المذكور .

- ذلك أننا انتقلنا الى الريف . على مقربة من البحر باقليم هولوكاى .

- هولوكاى .. ان هذا الاسم يعيد الى ذاكرتى شيئا .. أظن أنه حدثت فيه أمور كان يمكن أن تدخل فى اختصاصك .

- اهم هذا .. ولكن مرت على هذه امور نحو ستين عاما ولم أسمع عنها الا عند وصولنا هناك .

- يبدو أنها تتعلق برسومات غواصة بيعت الى .. لا أدرى أى بلد .. ربما اليابان ، ذلك اذا لم تكن روسيا .. وقد تورط فى هذه القضية سكرتير القنصلية أو موظف كبير بها .

- كنت أريد أن ألقى عليك بضعة أسئلة بالذات بدافع الفضول .

- اننى مصغ اليك .

- قلت لى انك سمعت عن هولوكاى .. فهل كان ذلك بمناسبة قضية تجسس ؟

- اواقع أن كل هذا بعيد جدا وغامض جدا بحيث أننى لا أتذكر الشئ الكثير . ومع ذلك فقد أثارت هذه القضية ضجة كبيرة فى ذلك الوقت . وكان هناك أيضا ضابط بحرى انجليزى كان المعتقد أنه فوق الشبهات .

- وامرأة شابة كذلك ؟ .. مارى جوردان ؟

- يخيل لى فى الواقع أننى أتذكر هذا الاسم ، واننى أتساءل اذا لم تكن زوجة ذلك الضابط . انها هى التى اتصلت بالروس على كل حال .. أوه ، كلا .. اننى أخلط بينهما وبين قضية أخرى حديثة .. ولكن لماذا تنبش هذه القضية القديمة بعد كل هذه المدة ؟ انها وقعت بالتقريب فى ذلك الوقت الذى كنت تهتم فيه أنت بالباخرة "الباسيفيك" . ولكن هل أنت الذى اهتممت بها أم زوجتك ؟

- اشتركنا معا فى هذه القضية .

- وكانت الفتاة اسمها جين فيش أو ما أشبه .

- جين فين .

- وماذا جرى لها ؟

- تزوجت أمريكيا .

وجاء الجرسون فى هذه اللحظة بالأطباق فانتقل الحديث الى أصناف الطعام .

***

دبر توماس بيرسفورد موعدا بعد ظهر ذلك اليوم نفسه . وكان محدثه هذه المرة رجل أشيب متجهم الوجه بدا كما لو كان نادما على الوقت الذى كرسه لتومى .

- الواقع أننى لا أدرى ماذا أقول . اننى أفهم ما تعنيه فى غموض ، ولكننى لا أملك أية معلومات فى هذا الصدد حقا . ومع ذلك فقد دبرت لك لقاء مع رجل قد يكون فى مقدوره مساعدتك .. رجل ظريف على استعداد لتقديم أية خدمات دائما ، وهو قريب لى على كل حال . اليك عنوانه .. انه عنوان مكتبه فى المدينة ، وسيستقبلك فى الساعة الثالثة . هل سبق أن التقيت به ؟

ألقى تومى نظرة الى البطاقة التى فى يده ثم قال :

- كلا . لا أظن ذلك .

- انه رجل طاعن فى السن ضخم الجسم زيتونى اللون عادى المظهر . لن تصدق أبدا عندما ترام أنه يعرف أى شئ ومع ذلك فهو نابغة واننى لأدهش اذا لم يستطع أن يقدم اليك ما تريد من معلومات .

***

– انها تتلخص فى بعض كلمات . انتقلنا حديثا الى بيت جديد عثرنا فيه على بعض الكتب القديمة التى تركها المالك السابق ، وهى عبارة عن روايات أطفال كانت بالبيت منذ وقت طويل بدون شك ، وقد اكتشفت زوجتى فى كتاب منها بضع صفحات وضعت تحت بعض حروفها خطوط حمراء . وعندما جمعنا هذه الحروف أسفرت عن عبارة أثارت حيرتنا : " مارى جوردان لم تمت ميتة طبيعية . واحد منا هو الذى قتلها وأظن أننى أعرف من هو . " .

قال مستر روبنسون :

– هذا غريب فى الواقع . اننى لم أصادف فى حياتى شيئا كهذا . ومن الذى كتب هذه العبارة ؟ .. هل لديك فكرة عن ذلك ؟ .

– تؤكد الظواهر أنه فتى فى الرابعة عشر من عمره يدعى الكسندر باركنسون ، وهو مدفون هو الآخر فى مدافن القرية .

– تقول باركنسون ؟ .. دعنى أفكر لحظة .. نعم كان هناك فتى بهذا الاسم تورط فى هذه القضية .

– اننى أفهم . وماذا اكتشفتما فيما يتعلق بها ؟

– لم نكتشف شيئا يذكر . فهمنا فقط انها كانت وصيفة فى ذلك البيت .. أو مشرفة به .

– هل تعرف كيف ماتت ؟

– جمع بعضهم بعض أوراق القمعية مع أعشاب أخرى وطبخها .. ولكن لم يكن ذلك سببا كافيا لكى تموت طبعا .

– هذا صحيح . أن أوراق القمعية لا تكفى لتتسبب فى الموت . ولكن اذا فرضنا أن بعضهم دس بعد ذلك كمية من الديجتيالين فى القهوة أو فى شراب ما فان المنطق أن نلقى التبعة على القمعية ونعتبر المسألة كلها حادثا يؤسف له .

- وأظن أنه قيل أيضا ان تلك الفتاة كانت جاسوسة .

- أنت تعلم أن كل شخص ألمانى كان يشتغل فى انجلترا قبل حرب سنة ١٩١٤ كان يتهم آليا بأنه جاسوس . ولكن الضابط الانجليزى المتورط لم يكن ليشتبه فيه أحد، وفيما يتعلق بى أنا فاننى أنظر باهتمام كبير الى كل الذين يبدون فوق الشبهات . ومع ذلك فان هذه القضية أصبحت بعيدة جدا عنا الآن .

- ولكنها لا تزال غامضة .

- نعم . وقد تحدثوا عن سرقة مستندات حربية ، ولكن كانت هناك أشياء أخرى كثيرة ، وبالأخص الناحية السياسية للقضية . كثيرون من رجالنا السياسيين البارزين لم يكونوا طاهرى الذيل دائما ، وهذا أمر مزعج ، خصوصا فى الوظائف الحكومية الكبرى وقد لاحظت مرة أثناء الحرب الأخيرة أن بعض الشخصيات التى يرتبط مصير البلاد بها لم تكن طاهرة الذيل تماما .

- يبدو أنك على علم بأشياء كثيرة .

- الواقع أننى اشتركت فى هذا النوع من القضايا أكثر من مرة ، ويهمنى أنك نبشت هذه القضية .

- ومع ذلك فاننى أرى أن ما أقدم عليه أنا وزوجتى ما هو فى الواقع الا مجرد حماقة . اننا اشترينا البيت الذى نحتاج اليه للاقامة فيه وجددناه وأدخلنا فيه بعض التعديلات وفقا لرغباتنا ، ونريد أن نزرع الحديقة ولكننا لا نريد أن نتورط مرة أخرى فى مسألة كهذه . ومع ذلك ، وبعد أن عرفنا الأحداث الغريبة التى وقعت فى ذلك البيت فاننا لا نستطيع الا أن نفكر فيها .

- اننى أفهم . انكما تريدان أن تعرفا فحسب . هكذا نحن دائما . ان الفضول هو الذى يدفعنا إلى استكشاف الأراضى المجهولة والى الذهاب الى القمر واستخراج الأوكسجين من البحر ، كل هذا نتيجة لفضولنا الطبيعى وأظن أنه لولا هذا الفضول

لكان الرجل أشبه بالسلحفاة ولكنك تريد ارضاء فضول زوجتك .. اننى لم أتشرف بمعرفتها ولكننى أعرف على الأقل أنها امرأة فريدة .

– اننى أعتقد ذلك أنا الآخر .

– يسرنى أن أسمع هذا . أننى أحب الناس الذين يتكاتفون ويقدرون الزواج حتى النهاية .

– اننا طاعنان فى السن ومكدودان ، وعلى الرغم من أننا نتمتع بصحة جيدة فاننا لا نريد أن نتدخل فى مشاكل ومتاهات .

– اننى أعلم . اننى أعلم . كفى اعتذار . كما قلت الآن تريد أن تعرف فحسب .. وكذلك مسز بيرسفورد .

– ما كنت لأسمح لنفسى بالمجئ لازعاجك اولا أن صديقى موتون تشوب هو الذى دفعنى الى ذلك .

ارتسمت ابتسامة على وجه مستر روبنسون وقال : – اننى أعرفه جيدا . كان يرضى عارضيه فيما سبق . وكان فخورا بهما . اذا كان قد أرسلك الى منزلك لأنه يعرف أننى اهتم بهذا النوع من القضايا منذ وقت طويل .

– ولكنك بلغت القمة الآن .

– لا تقل هذه الحماقة . انما سنحت لى الفرصة للاهتمام ببعض القضايا التى لها صبغة هامة .

– كتلك القضية التى دارت فى .. فى .. فرانكورت .

– هل سمعت بها .. لست أحقد عليك على كل حال لأنك أتيت لالقاء بعض الأسئلة . اننى مستعد للاجابة عليها ، ولكننى لا أعرف بماذا أشير عليك للاجابة عليها ، ولكننى لا أعرف بماذا أشير عليك يجب أن تفكر بروية على كل حال وأن تنصت الى الناس . اذا سمعت بشئ آخر فاتصل بى تليفونيا ويكفى أن نتفق على

شفرة خاصة . قل لى مثلا أن زوجتك أعدت مربى تفاح وأنك سترسل لى بعضا منها . سأفهم ما تقصده على الفور .

– اننى اتساءل اذا كان لا يزال لكل هذا أهمية ما ..مهما يكن فان مارى جوردان ماتت ، ولا ريب أن الأشخاص الذين عاصروها ماتوا هم الآخرون .

طبعا . ولكننا نبنى أحيانا لأراء خاطئة عن الناس بسبب ما نسمعه أو ما نقرأه عنهم .

– هل تعنى أن فى مقدورنا أن نبنى أراء خاطئة عن هذه الفتاة وانها لم تكن بلا ريب لأهمية التى تنسبها اليها . بل كانت لها من الأهمية أكثر مما تظن .

ألقى مستر روبنسون نظرة الى ساعته وقال : – أرانى مضطرا الى أن استأذنك فى الانصراف لأننى أنتظر زائرا بعد بضع ساعات . انه رجل مزعج ولكنه يدير احدى الادارات الحكومية الهامة ، وانك تعرف معنى هذا فى ايامنا هذه . الحكومة ودائما الحكومة .. يجب أن نتحملها فى كل وقت وفى كل مكان .. فى المكاتب وفى البيت والتليفزيون والأسواق . ان الحياة الخاصة هى التى أصبحنا نفتقدها الآن أكثر من أى شئ آخر . ومع ذلك فان الأبحاث التى تقوم بها أنت وزوجتك تعتبر جزءا من حياتكما الخاصة ، ومن يدرى ، لعلكما تكتشفان شيئا ما . اننى على علم ببعض الحقائق التى لا يعرفها غيرى بالطبع ، وربما أستطيع أن أخبرك بها عندما أرى الوقت مناسبا لذلك . أما الآن فسأكتفى بأن أذكر لك شيئا قد يساعدك . انك سمعت عن قصة ذلك الربان الذى أعدم لاشتغاله بالجاسوسية لحساب دولة أجنبية . كان رجلا خائنا كان خائنا حقا .. أما مارى جوردان .. – نعم ؟

– هل تريد ان أذكر لك سرا ؟ .. حسنا . لعلها كانت جاسوسة ، ولكنها لم تكن تتجسس لحساب المانيا .. لم تكن جاسوسة لدولة معادية .

مال مستر روبنسون فوق مكتبه وخفض صوته قليلا وهو يقول :

– كانت من عملائنا .

الفصل الثالث

١

صاحت تونس : - ولكن هذا يغير كل شئ .

- طبعا . وقد دهشت كثيرا .

- ولأى سبب قال لك هذا ؟

أجاب تومى فى لهجة حالمة :- لا أدرى . خطرت لى فكرة ولكن ..

- ولكنك لم تقل لى كيف وجدت مستر روبنسون هذا ؟ ..

- طويل وبدين وجسيم دائم التشاؤم يبدو كالانسان العادى ولكنه مع ذلك شديد البعد عنه .

- مازلت لا افهم لماذا كاشفك بهذا السر ؟

- ان هذه المسألة تنتمى الى ماض أصبح بعيدا ويخيل لى أنه لن يكون لها أية انعكاسات فى الوقت الحالى . تأملى فى الأسرار التى يتركونها تذاع اليوم : ما كتبه شخص وما قاله آخر وسبب خلافا أو أزمة .. ولماذا تكتمون خبرا بسبب نبأ آخر لم

يسمع عنه أحد أبدا .

- انك تثير حيرتى دائما عندما أسمعك تعرض مثل هذه النظريات ، ويخيل لى أن كل شئ باطل .

- كيف هذا ؟

- الطريقة التى واجهنا بها الحقائق .

- وضحى .

- ان ما اكتشفناه فى رواية السهم الأسود كان واضحا بما فيه الكفاية ، ولكننا لم نعرف من هى مارى جوردان ، ولم نستطع أن نكتشف عنها شيئا تقريبا .

- فيما عدا أنها كانت جاسوسة ألمانية فى الظاهر .

- كان الجميع يعتقدون ذلك . وكنت أحسب أنها الحقيقة ولكننى الآن .

- نعرف أنها كانت عكس ذلك .

- أو بمعنى أصح أنها كانت جاسوسة انجليزية .

- كانت تعمل بقلم المخابرات البريطانية وأرسلت هنا فى مهمة لاكتشاف شئ ما ، ولا ريب أنه كان فى القرية فى ذلك الوقت بعض الجواسيس الألمان .

- هذا أو شبه مؤكد .

- ولهذا فان عبارة " واحد منا " . لا يجب أن يكون لها المعنى الذى كنا ننسبها اليها . ولا ريب أنها كانت تشير الى شخص من الجيران اتفق أن كان موجودا فى البيت فى تلك الليلة . وقد ماتت الفتاة لأن شخصا ثالثا أدرك الدور الذى تقوم به ، وهذا ما اكتشفه الكسندر باركنسون .

- وربما كانت تتظاهر بالتجسس لحساب المانيا ، وارتبطت بالصداقة ظاهريا مع ربان السفينة الذى نسيت اسمه .

- لندعوه الربان س اذا أردت . وكان فى القرية كذلك جاسوس معاد يقيم كما

فهمت فى قيللا تقع على مقربة من الميناء ، وكان يقوم بالدعاية ويجاهر فى كل مكان بأن سياستنا الفضلى تقوم على التحالف مع ألمانيا .

– يا الهى .. كل هذا معقد .. هذه المستندات وهذه الرسومات والمؤامرات .. أظن أننا كنا سنبحث فى أماكن لنجد فيها أى شئ .

– لست واثقا من ذلك . اذا كانت مارى جوردان قد أقبلت هنا لكى تكتشف شيئا ، واذا كانت قد اهتدت اليه حين أدرك الربان س والآخرون ..

– حاول أن لا تحيرنى وتعقد الأمور ثانية .

– سأحاول . عندما أدركوا أنها عثرت على ما كلفت بالحصول عليه كان لابد لهم..

– من قتلها ؟

– ها أنت الآن تجعلينني أفكر فى فيليبس أو بنهيم .

– كان عليهم أن يتخلصوا منها على كل حال قبل أن تنقل معلوماتها الى قلم المخابرات .

– لا ريب أن هناك أكثر من هذا . ربما حصلت على المستندات المطلوبة التى كان يجب أن تسلم الى شخص آخر .

– اننى أفهم ما تريد أن تقول . ولكن اذا كانت قد ماتت باسم خطأ فلا أرى لماذا استخدم الفتى الكسندر عبارة " واحد منا " .. فلم يكن الأمر يتعلق بأى شخص من العائلة بدون شك .

– ليس بالضرورة أن يكون الجانى ممن كانوا يقيمون بالبيت . كان من السهل أن يجنى بعضهم أوراق القمعية وان يضعها فى المطبخ . لم يكن بحاجة لكى يضع كمية قاتلة منها . ولاريب أن الذين كانوا يقيمون بالبيت أحسوا جميعا بتوعك واستدعوا الطبيب .

وقد استطاع هذا الأخير تحليل الطعام ، وحسب أن شخصا أخطأ دون قصد ، ولكن لكى يقتل ذلك الشخص مارى جوردان تمكن من أن يدس فى كأسها أو فى فنجان قهوتها قدرا قاتلا من الديجيتالين ، وبهذا يشعر الجميع بالمرض ولكن شخصا واحدا يموت ، ولاشك أنهم حسبوا أن ذلك الشخص كان أكثر حساسية لهذا الدواء من الآخرين..

– ومن الجائز أنها أحست بتوعك كما أحس الجميع ثم ، دس القاتل السم لها فى صباح اليوم التالى فى القهوة .

– أعرف أنك لا تفتقر الى الأفكار أبدا .

– ربما فى هذا المجال .. ولكن الباقى .. الى من كان يشير " بواحد منا " ؟ .. هل كان يشير الى شخص مقيم هنا ؟ .. صديق أو ضيف .. من الجائز أيضا أنه كان يشير الى شخص جاء بخطاب توصية ، ولعله خطاب مزيف .. يقول فيه مثلا :– هل لك أن تتكرم وتسمح لحامل هذا أن يشاهد حديقتك ؟ .. انه أمر سهل كما ترين .

– لا أشك فى هذا .

– واذا صح هذا فربما لا يزال يوجد بالبيت شئ يفسر ما وقع لى أمس واليوم .

أجفل تومى وقال :– وماذا وقع لك ؟

– بينما كنت أهبط المنحدر بتلك العربة الصغيرة اللعينة انفصلت العجلتان ، وانقلبت بصورة مريعة وهبطت هبوطا اضطراريا ، واذا جاز لى هذا القول فى الأوركارية . كان يمكن أن يكون لهذا الحادث عواقب أشد خطورة ، ويقول اسحاق أن ترولوف اللعينة كانت فى حالة جيدة قبل أن أركبها .

– ولكنها لم تكن كذلك طبعا . هل تدركين أن هذا هو الحادث الثانى الذى يقع لك منذ اقامتنا هنا ؟

– هل تعنى أن شخصا يتمنى أن يتخلص منا .. ولكن معنى هذا ..

- انه لابد أن هناك شيئا فى هذا البيت فعلا ، كما قلت منذ لحظة .

تبادل مستر بيرسفورد هو وزوجته النظر فى صمت لحظة طويلة ، وكان تومى هو الذى قطع حبل الصمت فقال :

- ماذا قال اسحاق بالتدقيق عن هذه العربة ؟

- قال فى ايجاز " ان هؤلاء الأولاد الملاعين جاءوا هنا بالتأكيد وتلاعبوا فى العجلتين . لم أر أحدا منهم بالطبع لأنهم انتظروا حتى أخرج بدون شك " . وقد سألته اذا كان يظن أن هذا الحادث مدبر ..

- وماذا أجاب ؟

- لم يدر ماذا يقول .

- لا يمكننا استبعاد سوء النية على كل حال .

- أيكون أحدهم قد تعمد احداث حادث ؟ .. ولكن هذا غير معقول .

- ان الأشياء التى تبدو غير معقولة لاول وهلة لا تكون كذلك دائما . كل شئ رهن بالطريقة التى تقع بها وبالسبب الذى ينتج عنها .

- أعترف بأننى لا أرى أى سبب .

- يمكننا أن نحاول تحديد سبب معقول .

- وماذا يمكن أن يكون ؟

- انهم يريدون اقصاءنا من هنا .

- ولماذا ؟ .. لو أن أحدا أرادات امتلاك البيت لأمكنه أن يقدم لنا عرضا .

- طبعا .

- ومع ذلك فلم يبد أحد أية رغبة فى شرائه بقدر ما نعرف . بل لم يطلب أحد زيارته عندما اتصلنا بمكتب السمسار .

- ولعلهم يجدون كذلك أنك أظهرت فضولا أكثر من المعتاد ، وأنك القيت عديدا

من الأسئلة فى القرية لو أننا عرضنا البيت للبيع وأبدينا رغبتنا فى مغادرته فاننى مقتنع بأن كل شئ سوف يعود الى مجراه وأنهم سيتركوننا وشأننا .

– من تعنى ؟

– لا أدرى .. سنعرف ذلك فيما بعد بدون شك .

– ما رأيك فى اسحاق ؟ .. أيكون له دخل فى هذا ؟

– انه طاعن فى السن ، وهو فى القرية منذ وقت طويل ، ويعرف أشياء كثيرة بالطبع ، فهل تحسبينه يتلاعب بعجلتى العربة اذا أعطاه شخص ما ورقة بخمسة جنيهات .

– لا أظن ذلك .. أنك تتصور أمورا مضحكة .

– لا تنسى أنك تصورت من ناحيتك أمورا أشد غرابة .

– ولكن ميزاتها تتفق مع ما رأيناه أو سمعناه .

– ولكن اذا رجعت الى ما قيل اليوم فاننا لم نعلم هنا الا أمورا لا تتفق أبدا مع الحقيقة .

– أعترف أن هنا يغير فروض المسألة ، فاننا نعرف الآن أن مارى جوردان لم تكن جاسوسة لبلد معاد وانما عميلة انجليزية ، وانها كانت فى هولوكاى لغرض معين ، ويحتمل أنها أنجزت هذا الغرض .

– على ضوء هذه الحقائق يمكننا اذن أن نقول أنها أقبلت هنا لاكتشاف شئ ما .

– لجمع معلومات عن الربان س بدون شك ، وبهذه المناسبة ، يجب أن نحاول معرفة اسمه .

– تعرفين صعوبة الحصول على مثل هذه النقاط الدقيقة .

– لاريب أن الفتاة عرفت ما تريد معرفته ونقلت معلوماتها الى المسئولين . ومن الجائز أن بعضهم قرأ الخطاب .

- أى خطاب ؟

- ذلك الذى أرسلته الى ضباط الارتباط الذى كانت تعمل معه . ومن الجائز أيضا أنها مضت الى لندن لكى تلتقى بذلك الضابط .

- أو لكى تضع الخطاب فى جوف شجرة .

- هل تظن أن هذه الطريقة لا يزال معمولا بها . يبدو أن هذا غير معقول اطلاقا . انما هى طريقة قاصرة على العشاق الذين يريدون تبادل مراسلات سرية .

- من المحتمل أن مثل هذه الطريقة قد استخدمت وأن الخطاب كتب بشفرة خاصة لكى يبدو كأنه خطاب غرامى .

قالت توبنس :- فكرة جميلة . ولكن كل ذلك بعيد جدا . وكلما عرفنا شيئا كلما بدا عديم النفع . ومع ذلك فاننا لن نتخلى عن هذه المسألة ، أليس كذلك ؟

أجاب تومى وهو يتنهد :- ليس فى الوقت الحاضر .

- ولكنك تتمنى لو أن نفعل ؟

- هو ذلك .. لأننى بقدر ما أستطيع أن أرى .

- ومع ذلك أراك لا تتخلى عن الأثر . ومهما يكن فان من الصعب أن تجعلنى اتخلى عنه الآن ، لأننى لا أنقطع عن التفكير وسيؤرقنى ذلك .

- ان ما كدرنى هو اننى أعرف عن يقين تقريبا أن هذه القضية لها صلة بالجاسوسية ولكننا لا نعرف من هو المتورط فيها . أعنى أننا لا نعرف من هو الشخص الذى كان يتجسس لحساب العدو ، لأنه كان هناك بالطبع شخص يخون وهو يتظاهر بأنه خادم مخلص للوطن .

- هذا محتمل تماما .

- وكان يتعين على مارى جوردان أن تتصل بذلك الشخص .. بذلك الربان الذى تدعوه س أو يأصدقائه بطريقة تعرف بها ما يدبرون .

- هل تظن أن آل باركنسون كانوا متورطين ، وأنهم كانوا يعملون لحساب العدو ؟
- يبدو لى هذا بعيد الاحتمال .
- اذا صح هذا فاننى لا أفهم شيئا ما .
- ومع ذلك فلا ريب أن البيت لعب بدور فى هذه المسألة .
- لسوء الحظ أن أناسا كثيرين أقاموا فيه بعد آل باركنسون .
- ولكن هؤلاء الناس كانوا لا يشبهونك يا توبنس . - ماذا تعنى ؟
- لم يفكر أحد منهم فى فحص الكتب القديمة والتفتيش فيها كما فعلت أنت . وقد أقاموا فى هذا البيت ولم يستخدموا الغرف المسقفة ، أو لعلهم استخدموها فى اسكان الخدم ، وقد يكون هناك شئ لا يزال مخبوءا فيها ... مستند لم تجد مارى جوردان متسعا من الوقت لتسليمه لمن يعنيه الأمر .
- هل تظن حقا أن هذا الشئ لا يزال موجودا هنا ؟
- من يدرى ؟.. على كل حال هناك شخص يخشى ان نعثر عليه ، ولهذا السبب حاول ان يحمله على مغادرة البيت . ولعله فتش البيت سدى أثناء السنوات الماضية . واذا كان الأمر كذلك فلا ريب أنه يريد أن يتخلص منا لكى يستولى على ما يعتقد انه فى حيازتنا .
- ولكن هذا يجعل الأمر أكثر اثارة ومتعة يا تومى .. ألا ترى ذلك ؟
- جائز . ولكن لا تنسى ان كل ما نقول لا يعدو مجرد نظريات .
- لا تحاول أن تكدر صفوى أرجوك . مهما يكن فسأستمر فى ابحاثى سواء خارج البيت أو داخله . - ماذا تنوين أن تفعلى ؟.. أن تقلبى أرض الحديقة ؟
- كلا . ولكن هناك الدواليب والقبو والمستنبت والحظيرة وأماكن أخرى كثيرة يجب تفتيشها بعناية . تنهد تومى وقال :
- يا الهى ! ... وقد أقبلنا هنا لكى ننعم بأيام هادئة .

٢

قالت مسز بيرسفورد :

– أرجو أن لا أتسبب فى مضايقتك . خطر لى أن أتصل بك تليفونيا اشفاقا من ان تكونى قد خرجت ، ولكن الأمر غير عاجل وأستطيع أن أعود فيما بعد اذا آثرت .

– ولكن أبدا ... يسرنى ان أراك يا عزيزتى .

اعتدلت مسز جريفين فى مقعدها قليلا لكى تستريح فى جلستها أكثر ، ثم رفعت عينيها الى وجه زائرتها وقالت :

– يسرنا كثيرا أن يأتى أشخاص جدد للاقامة فى قريتنا فقد ألفنا جيراننا بحيث يسعدنا دائما أن نتعرف بأناس آخرين وأرجو أن تقبلى دعوتى للغداء أنت وزوجك فى يوم قريب . ولكننى لا أدرى فى أية ساعة يعود زوجك مستر بيرسفورد ، لأنه يمضى الى لندن تقريبا اذا لم أخطئ .

– هذه مكرمة منك يا مسز جريفين ، وأرجو ان تزورينا أنت أيضا عندما تستقيم اقامتنا . يخيل لى دائما اننى سأفرغ من ترتيباتى ، ولكننى لا ألبث أن أرى ان هناك شيئا لم أرتبه بعد .

– هكذا الأمر دائما عندما ينتقل المرء من مسكن الى آخر .

كانت توبنس تعلم أن مسز جريفين فى الرابعة والثمانين من عمرها ولكن جلستها المعتدلة فى مقعدها تخفيفا لآلام الروماتيزم التى تقاسيها كانت تجعلها تبدو أقل من سنها بكثير ، على الرغم من التجاعيد التى تملأ وجهها ومن شعرها الأبيض الذى تغطيه بايشارب جميل من الدانتللا تربطه خلف رقبتها ، وكانت تضع على عينيها نظارة سميكة ، وتستخدم فى بعض الأحيان جهازا ضد الصمم . وعلى الرغم من كل

ذلك كانت تبدو نشيطة وقمينة بأن تبلغ المائة من عمرها .

وسألت :

– ماذا فعلت فى الأيام الأخيرة ؟ .. ان دوروثى .. اعنى مسز ريجرز تقول ان الكهربائيين مايزالون عندك . أرجو ان تكونى قد تخلصت منهم أخيرا .. كانت دوروثى تعمل خادمة عندى فى وقت من الأوقات ، وهى مازالت تأتى مرتين فى الأسبوع لتنظيف البيت .

نعم . لقد فرغ الكهربائيون من عملهم والحمد لله . كنت أخشى دائما أن أقع فى الثغرات التى أحدثوها فى الأرضية .

أمسكت توبنس لحظة ثم عادت تقول :

ربما تجدينني غبية ولكننى ألقى على نفسى أسئلة كثيرة . اشترينا البيت وبه بعض المفروشات وعدد كبير من كتب الأطفال وجدت بينها بعض الروايات التى أحببتها فى حداثتى .

– أظن انك استمتعت بقراءتها من جديد .. سجين زندا مثلا .. لقد أحبتها جدتى كثيرا ، وأنا نفسى قرأتها أكثر من مرة . أظن أنها أول رواية خيالية سمحوا لنا بقراءتها ، ففى ذلك الوقت لم يكن الأهالى يميلون كثيرا الى ترك مثل هذه الروايات بين أيدى الفتيات ، وفيما يتعلق بى أتذكر انه ممنوع بتاتا أن أقرأ فى الصباح . كنت أستطيع قراءة الكتب التاريخية والمؤلفات الجادة ، ولكن الروايات الخيالية كانت تعتبر مجرد تسلية ولم يكن مسموحا لنا بقراءتها الا بعد الظهر .

قالت توبنس وهى تبتسم :

– مررت أنا أيضا بهذا الدور . كنت أقول اذن اننى وجدت عددا كبيرا من الكتب... روايات مسز موسوورن ..

– أحببت كثيرا مزرعة الرياح الأربع .

- أنها موجودة بين الروايات التى لدى وكثير غيرها لمؤلفين مختلفين . وعندما بلغت الرف الأخير وجدت هذا .

وأخرجت مسز بيرسفورد من حقيبتها ربطة صغيرة ملفولة فى ورق أسمر وقالت :

- انه اليوم يحتوى على صور تذكارية وجدت فيه اسمك وانت فتاة وقد ذكرته لى منذ أيام ... وينفريد موريسون ، أليس كذلك ؟

- نعم .

- وقد تساءلت عندئذ ان كان يسرك أن تلقى عليه نظرة ، وقد احضرته معى . لاريب ان كثيرين من صديقاتك كتبن أسماءهن فى هذا الألبوم .

- هذا جميل جدا منك ، ويسرنى ان ألقى عليه نظرة .. عندما يتقدم انسان فى السن يسره دائما أن يلقى نظرة على كل أحداث الماضى . واننى أشكرك اذ خطرت لك هذه الفكرة الجميلة .

قالت توبنس وهى تعطى الألبوم للسيدة :

- ولكن لسوء الحظ انه ليس فى حالة جيدة .

- كان لدى كل فتاة فى ذلك الوقت ألبوم مماثل . كنا نسجل أسماءنا فى ألبومات صديقاتنا وكن يسجلن أسماءهن فى ألبوماتنا . ولكن هذه العادة اندثرت فيما بعد وأظن ان هذا الألبوم من الأواخر .

وراحت مسز جريفين تقلب صفحات الألبوم فى بطء وهى تتمتم :

- يا الهى ! يالها من ذكريات جميلة . هيلين جيلبرت ... ديزى شرفيلد .. اننى أتذكرها جيدا . كان فى فمها جهاز لتقديم الاسنان ولكنها كانت تخلعه فى كل وقت مدعية بأنها لا تستطيع احتماله ... أيدى كرون ... ومرجريت ديكسون .. كان لأغلبهم خط جميل ... وهو شئ لا تتمتع به فتيات اليوم ... عندما تأتينى خطابات من بنات اخواتى أجد صعوبة كبيرة فى فك رموزها ، فهى تبدو أشبه بالهيروغليفية

موللى شورت ... آه ، نعم ... كانت تفأفئ كثيرا .

تساءلت توبنس هل من اللياقة ان تقول ما ستقول :

- أظن ان كثيرات منهن الآن ... أعنى ..

- تظنين ان كثيرات فارقن الحياة ؟ .. هذا صحيح انك على حق . أغلبهن وليس جميعهن ... مازال بعضهن على قيد الحياة ، ولكنهن لا يقمن فى القرية ، لأنهن تزوجن وذهبن للاقامة فى أماكن أخرى . وكثيرات منهن هاجرن الى بلاد أخرى . نعم وهذا أمر مؤثر جدا .

- أظن أنه لم يكن هناك أحد من آل باركنسون فى ذلك الوقت ... فاننى لم أر هذا الاسم فى أى مكان .

- كلا . ان باركنسون كانوا هنا قبلهم . هل هناك ما تريدون معرفته عنهم ؟

- اوه ، ليس هذا الا مجرد فضولى ، ففى اليوم الأسبق وبينما كنت أتجول فى المدائن توقفت أمام مقبرة عليها اسم الكسندر باركنسون ، ولاحظت انه مات صغيرا .

- هذا صحيح ، وأنه من المحزن ان يختفى المرء وهو فى مثل هذه السن . يبدو أنه كان فتى ذكيا جدا ... كانوا يتنبأون له بمستقبل باهر . ولم يمت بسبب المرض ، ولكنه تناول طعاما فاسدا تسبب فى موته .. ان مس هندرسون هى التى روت لى ذلك وهى تتذكر آل باركنسون جيدا .

- مسز هندرسون ؟

- أظن انك لا تعرفينها . انها تقيم فى ميدوسايد ، وهو بيت منعزل يقع على بعد نحو عشرة أميال ... يجب ان تذهبى لزيارتها ... ستروى لك الكثير عن البيت الذى تقيمين فيه الآن . انها أكبر منى سنا على الرغم من أنها كانت أصغر أخواتها . كانت مشرفة فى ذلك الوقت عند مسز بيدنجفيلد ، وكانت تقيم عندئذ فى فيللا " عش عصفور الجنة " . وهو الاسم الذى كان يعرف به بيت الغار الذى تقيمين فيه الآن ..

انها تعشق الحديث عن الماضى ، نعم ، أظن انه يجب ان تذهبى لزيارتها .

– ربما لا يروق لها ذلك .

– اننى واثقة من العكس . سيسرها ان تراك . قولى لها انك آتيه من قبلى . انها تتذكرنى وتتذكر أختى مارى روز . يمكنك ان تتعرفى أيضا بمسز هنلى التى تقيم فى فيللا التفاح . سيسرها ان تراك هى الأخرى .

***

٣

تهالكت توينس فوق كرسى بالصالون وهى تتنهد وقال تومى :

- أراك متعبة .

اعترفت وهى تغالب الثثاؤب :

- بل شديدة التعب .

- ماذا فعلت اذن ؟ .. أرجو أن لا تكونى أرهقت نفسك بالعمل فى الحديقة ..

- لست مرهقة جسديا ، وكل ما فى الأمر اننى قمت أنا الأخرى ببعض الأبحاث .

- انه عمل مرهق كذلك ، وبهذه المناسبة ، لا أظن انك عرفت شيئا يذكر من مسز جريفين أول أمس .

أخرجت توينس دفترها الصغير من حقيبتها ، وكانت قد وضعتها بجوارها وقالت :

- اننى دونت بعض الملاحظات ، وقد أخذت أيضا احدى قوائم الطعام القديمة ، وجدتها فى الدولاب .

- وفيم افادتك ؟

- عرفت منها مجموعة كبيرة من الوصفات الخاصة بأعداد بعض الطعام . انظر الى هذه الوصفة الأولى أعدها شخص لا أذكر اسمه .

- كان يجب ان تدونى اسمه .

- اننى لا أكتسب الأسماء ، وانما الحقائق التى يروونها لى . لقد اهتم الناس كل الاهتمام بهذه الوصفات ، ويبدو أنهم طبعوها من أجل عشاء خاص نال اعجابهم كل الاعجاب .

- لا تبدو لى هذه الواقعة على شئ كبير من الأهمية .

- بل هى كذلك من ناحية لأن كل المدعوين اعلنوا انهم لن ينسوا أبدا هذه الحفلة

التى تم فيها الاحصاء .

- الاحصاء ؟

- انك تعرف تماما عن أى شئ اتكلم . لقد قاموا باحصاء عندنا فى العام الماضى وهم يسألون عن أشياء كثيرة ... من الذى كان يقيم معك فى يوم كذا ، وهل أنت متزوج وهل لك أولاد ، وهل لك أولاد دون أن تتزوج ... أسئلة كثيرة غير مفيدة وأخرى لا يقبلها أحد فى أيامنا هذه . وفى تلك الليلة كان الناس منزعجين لا بسبب الاحصاء لأنهم كانوا قد ألفوه وأصبحوا لا يعبأون به ولكن لأن شيئا خطيرا كان قد وقع

- اذا كان الأمر كذلك فان ذلك الاحصاء يمكن ان يساعدنا فى معرفة تاريخ ذلك الحادث .

- هل تظن انك تستطيع الاهتداء اليه ؟

- طبعا . يكفى أن نعلم أين نبحث .

- وقد تحدثوا فى تلك الليلة عن مارى جوردان التى أحبها الجميع وافتتنوا بها ، وما كان ليخطر ببالهم انها كذلك ، ولكنهم قالوا فى نفس الوقت انه كان يجب ان يستعلموا عنها جيدا قبل الحاقها بالعمل لديهم نظرا الى انها كانت نصف ألمانية .

وضعت توبنس فنجان القهوة الفارغ على المنضدة واضجعت فى مقعدها الى الخلف وقالت :

هل اكتشفت شيئا مثيرا ؟

- ربما . فقد سمع الكثير من الناس عن هذه القصة من أقارب لهم أكبر منهم سنا وتحدثوا عن شئ مخبؤ فى وعاء صينى ، وتحدثوا كذلك عن لوكسفورد وكامبريدج . ولكننى لا أفهم كيف عرف الناس ان هناك شيئا مخبوءا فى هاتين المدينتين .. هذا يبدو غير معقول .

- لعل بعضهم كان له أين طلب أخذ هذه المستندات .

- هذا جائز ولكنه قليل الاحتمال .

- هل تحدث أحد من الذين رأيتهم عن مارى جوردان ؟

- لم يسمعوا عنها الا بالاسم فقط وذلك من أجدادهم وجداتهم ، ولا يستطيع أحد منهم أن يؤكد انها كانت جاسوسة المانية حقا .

- هل تحدثوا عن موتها ؟

- نسبوه الى حادث وقع قضاءً وقدرا بسبب قمعية خلطوا بينها وبين الأسباناخ أو الحميض . وقد نجا جميع المدعوين من الموت فيما عداها هى .

تمتم تومى قائلا :

- نفس الحكاية ولكن بصورة أخرى .

- ان الناس يتمتعون بخيال خصب بلا ريب . وقد قالت لى سيدة تدعى بيسى " امى هى التى تحدثت عن هذا " . ولكن الأحداث التى ذكرتها وقعت فى عهد سالف ، وأنا متأكدة من ان بعض النقاط التى ذكرتها غير حقيقية . وانت تعرف يا تومى انه عندما يتكلم الجميع فى وقت واحد فانه يتعذر توضيح الأمور ، فقد راحوا يتحدثون عن الجواسيس والسم والنزهات الخلوية ،كل ما يمكن تصوره . ولم أستطع الحصول على تواريخ صحيحة طبعا .

- اننى اتساءل هل أدلى الفتى الكسندر بشكوكه الى البوليس ؟ ... لعله تكلم أكثر من اللازم ومات لهذا السبب .. اننا نعرف تاريخ وفاته المحفور على قبره ولكننا مازلنا نجهل كل شئ عن حياة وموت مارى جوردان .

- سينتهى بنا الأمر الى أن نكتشف شيئا ما . اكتب قائمة كاملة الأسماء وستندهش مما يمكن ان نستنتج أحيانا من كلمة أو عبارة .

- يبدو انك عقدت صداقات مهمة وحملت أناسا كثيرين على العمل تذهبين بادئ

ذى بدء لزيارة سيدة عجوز ومعك ألبوم الصور التذكارية ، ثم تزورين بعد ذلك بعض السيدات المسنات اللاتى يعشن فى شبه عزلة وتعلمين منهن كل ما كان يدور فى عهد جداتهن . عندما نحدد بعض التوايخ ونقوم ببعض الأبحاث التكميلية فربما نستطيع أن نحصل عندئذ على نتيجة .

– اننى أتساءل من هؤلاء الطلبة الذين جاء ذكرهم فى اوكسفورد وكامبريدج ... هؤلاء الذين يقال انهم خبأوا شيئا .

– لا ريب انه لم يكن لهم دخل فى التجسس .

– يمكننا ان نحاول ونسأل الأطباء والقسس المسنين ، ولكننى أشعر ان هذه المحاولة لن تأتى بأية فائدة . أرجو ان لا يكون قد حاول أحد الاعتداء عليك مرة أخرى .

– تريد ان تعرف اذا لم يكن أحد قد حاول قتلى خلال اليومين الأخيرين ...حسنا ، كلا . لم يحاول أحد استدراجى الى نزهة خلوية ، ولم تمتد أيد الى فرامل السيارة ... وهناك زجاجة مبيد حشرات فى الحظيرة ، ولكن يبدو ان أحدا لم يحاول فتحها .

– لاريب ان اسحاق يحتفظ بها ليوم تخرجين فيه الى الحديقة وفى يدك شطيرة .

– مسكين اسحاق ... لا يجب ان تقول عنه مثل هذه الأشياء . اننى أشعر انه سيغدو من خير أصدقائى ولكننى اتساءل الآن ...

– ماذا ؟

– اننى تذكرت شيئا . كانت هناك سيدة تخفى حلقها كل يوم فى قفازها وكانت تظن ان الجميع يريدون قتلها بالسم . وقد تكلم البعض عن سيدة كانت تضع نقودها فى صندوق للنذور عليه هذه الكلمات " قدموا صدقتكم لأولاد المهجورين " . وكانت تضع فيه أوراقا من ذات الجنيهات الخمسة ، بحيث تجد ما تحتاج اليه من مال فى أية لحظة . وعندما يمتلئ الصندوق كانت تكسره وتشترى غيره .

– وأظن انها كانت تنفق ما فيه من مال ؟

- طبعا . وكان ابن عمى افلين يقول دائما :

- لن يفكر أحد فى سرقة الأولاد المهجورين .

- كلا . لماذا ؟

- لأن الكتب مخبأ امين للمستندات ، يمكن احداث تجويف بداخلها ووضع ما يراد اخفاؤه .

- ولكن شيئا من هذا لم يقع . هناك نسختان من كتاب عنوانه " تاج النجاح " ، وارجو ان يتوج النجاح مجهوداتنا .

***

٤

– ماذا ستفعلين بعد ظهر اليوم يا توبنس ؟ ... هل تساعدينني فى اعداد قائمة بالأسماء والتواريخ .

– لا أظن ذلك .. لأننى سأقوم بعملية جراحية بلاريب .

– ماذا ؟

– سأفتح بطن ماتيلد .

– اتراودك الآن أفكار عنيفة ؟

– انك تعرف ماتيلد ... انه الحصان الأرجوحة الذى ببطنه ثقب .

– وهل تقومين بجرد ما قد يكون بداخله ؟

– هو ذلك هل لك أن تساعدنى .

– لا أظن اننى أريد ذلك .

– هل تتكرم وتساعدنى .

تنهد تومى وقال :

– ما دام الطلب قد صيغ بهذه الطريقة الرقيقة فاننى لا أستطيع ان أتهرب ، ثم ان هذا العمل أقل ازعاجا من اعداد القوائم . هل اسحاق موجود فى مكان قريب ؟

– لسنا بحاجة اليه . يخامرنى احساس بأنه قدم لى كل ما لديه من معلومات .

– انه يعرف أمورا كثيرة . وقد لا حظت ذلك فى اليوم الماضى . بل اننى أظن انه يعرف أشياء لا يريد ان يتذكرها .

– تعلم أنه تجاوز الثمانين من عمره ولا ريب انه سمع أشياء كثيرة أثناء حياته لا يستطيع تمييز الصحيح منها من الكاذب طبعا ، ومهما يكن فسنجرى عملية لماتيلد

ولكننى أظن ان من الأوفق قبل ذلك ان استبدل ثيابى لأنه يوجد فى ذلك المستنبت طبقة كثيفة من الغبار ومن خيوط العنكبوت .

– يجب على كل حال ان تبحثى عن اسحاق لكى يساعدنا فى وضع المريض على ظهره . سيكون ذلك أوفق وضع لكى تفتح بطنه .

– يمكن القول انك كنت جراحا فى حياة سابقة .

– هذا جائز . سنخرج منه ما قد يعرض حياته للخطر اذن . ونستطيع ان نعيد طلاءه بعد ذلك ، فان أولاد ديبورا قد يروق لهم استخدامه أثناء اقامتهم المقبلة على الرغم من ان لديهم لعبا كثيرة .

– ليست اجمل اللعب واثمنها هى التى تروق للاطفال دائما . انهم يلهون بقطعة من الدوبارة أو بشراب يحشونه ببعض الخرق القديمة ويلعبون به الكرة .

– حسنا . سنهتم بماتيلد اذن .

ووضعا الحصان الأرجوحة فى وضع مناسب لاجراء العملية المزمع اجراؤها ، ولم يكن ذلك بالعمل الهين لأن الحصان كان ثقيلا جدا . ثم انه كان مملوءا بمسامير كانت أطرافها تعيق حركاتهما ، وسمت توبنس نقطة من الدم سالت من أصابعها . واطلق تومى سبة عندما تمزق كم البلوفر الذى يرتديه وقال :

– هذا الحصان اللعين ان هو الا الشيطان بعينه .

وقالت توبنس :

كان يجب التخلص منه من سنوات واحراقه فى احدى الحفلات .

وفى هذه اللحظة ظهر اسحاق العجوز فجأة وقال فى شئ من الدهشة :

– ماذا تفعلان ؟

هل استطيع معاونتكما ؟

هل تريدان اخراجه من المستنبت ؟

- ليس هذا ضروريا انما تريد ان نقلبه لكى نحرج منه ما قد يوجد بداخله .

- من الذى وضع هذه الفكرة فى رأسيكما ؟ ... وماذا تحسبان انكما واجدان فيه؟

أجابه تومى :

- لا شئ فيما عدا بعض القذارات التى لا أهمية لها بالطبع . ولكن اذا استطعنا جلاء الأمور شيئا فسيكون ذلك ممتعا . وعندما نخلى المستنبت من كل ما فيه من الأشياء القديمة فقد نستطيع استخدامه ونضع فيه أشياء أخرى .. للعبة الكروكية مثلا أو ...

- كانت هنا أرض صغيرة للعب الكروكيه فيما سبق ... فى المكان الذى توجد فيه الآن مزرعة الورد .. كان ذلك فى عهد مسز فولكز .

- فى أى وقت ؟

- اوه ، قبل أن أولد ... ولا أتذكر متى كان ذلك حقا فانتما تعلمان ان الناس يريدون دائما أن يروا أشياء كثيرة عما كان يدور هنا فيما سبق وعما خبأوه ولماذا ولكن أغلب هذه القصص ليست الا أكاذيب ومع ذلك فقد يكون فى بعضها ذرة من الحقيقة .

قالت توبنس :

- انت ذكى يا اسحاق . ويبدو انك تعرف كل شئ دائما كيف علمت بوجود أرض الكروكيه التى تتكلم عنها ؟

- سبق أن رأيت فى ذلك المستنبت عليه تحتوى على لعبة الكروكيه ولكن أظن انه لم يبق منها الآن شئ تقريبا .

تركت توبنس ماتيلد ومضت الى مكان قريب من المستنبت رأت فيه صندوقا من الخشب رفعت غطاءه فى غير صعوبة ووجدت فيه كرة زرقاء وأخرى حمراء ومضربا له قبضة معوجة ، وفيما عدا ذلك كان الصندوق مملوءا بخيوط العنكبوت . وقال اسحاق

العجوز :

- هى لعبة مسز فولكنر بدون شك ... كانت تشترك فى المباريات .

سألته توبنس :

- فى ويمبلدون ؟

- أوه لا أظن ذلك . كانت تشترك فى المبريات المحلية فحسب . وقد رأيت صورا لهذه المباريات فى محل مستر دورانس .

- مصور القرية . ولكنه دوراتس آخر غير الذى كان يدير المحل فى تلك الأيام .. وأظنه الحفيد . ولكنه الآن يبيع على الخصوص البطاقات التذكارية بطاقات المعايدات وأشياء أخرى من هذا القبيل . ولكن لا يزال بالمحل بعض الصور . وفى اليوم الاسبق ذهبت سيدة تسأله عن صورة جدته . كانت تريد أن تعرف اذا كانت صورتها السلبية لا تزال عنده ، ولا أعتقد أنه وجدها ، ومع ذلك فاننى أعرف أن مستر دورانس عنده تشكيلة كبيرة من الألبومات التى يرجع تاريخها الى ما قبل الحرب .

- قالت توبنس فى لهجة حالمة :

- البومات !

وادخلت ذراعها فى الفتحة الموجودة فى بطن الحصان الخشبى وأخرجت فى بادى الأمر كرة من الكاوتشوك كانت فيما سبق تجمع بين اللونين الأصفر والأحمر وقالت :

- هذا مخبأ رائع .

قال اسحاق :

- ان الأولاد حين يرون ثقبا يدسون فيه كل شئ . ولكن يبدو انه كان هناك شاب يضع فيه خطابات من وقت لآخر .

- خطابات ؟ ... ولمن كان يرسلها ؟

- لفتاة على ما أعتقد .

- سكت العجوز لحظة ثم أردف يقول كعادته :

- ولكن كان ذلك قبل أن أولد .

واستدار وغادر المستنبت محتجا بأنه ذاهب لاغلاق النوافذ . وقالت توبنس وهى تخرج من بطن ماتيلد ذراعيها اللذين يغطيهما الغبار :

- كل الأحداث التى تهمنا جرت قبل أن يولد . عجيب ان نجد كل هذه القذارات فى بطن ماتيلد ؟ والأعجب ان أحدا لم يفكر فى اخراجها أبدا قبل اليوم .

- ولماذا يفعل ؟

- ولكننا نفعل ذلك نحن الآن .

- ذلك لأننا لا نجد ما نفعله غير هذا . ولا أظن أننا أخرجنا منه شيئا ذا قيمة ...

أوه ...

صاحت توبنس على الفور :

- ماذا ؟

- لا شئ فيما عدا اننى جرحت .

وسحب ذراعه فى رفق ثم ادخله ثانية وأخرج ايشاربا من الصوف وجدت فيه العتة طعاما سائغا طوال وقت طويل وقال :

- أشعر بالغثيان .

وأقصته توبنس جانبا فى رقة ودست يدها فى بطن الحصان فقال :

- احذرى المسامير .

وقالت المرأة فجأة :

- ما هذا ؟

وأخرجت يدها وبها لعبة أولاد فتنهدت قائلة :

- بدأت أعتقد الآن اننا نضيع وقتنا .

- أما أنا فقد اقتنعت بذلك منذ وقت طويل .

- ومع ذلك وما دمنا قد بدأنا فيجب أن نمضى فى عملنا هذا حتى النهاية . يا الهى ! أحس بعنكبوتين يمشيان على ذراعى ... وبعد قليل سيحذو الدود حذوهما ولا أكره شيئا كما أكره الدود .

- لا أظن أنه توجد ديدان بالداخل لأنها لا تعيش الا فى الأرض ، ولا أظن أنه يحلو لها ان تتخذ بطن ماتيلد مقرا لاقامتها .

- لقد أصبح فارغا الآن تقريبا ... ولكن ما هذا ؟ ... انه أشبه بمحفظة بها معدات الخياطة .. نعم ... ان بداخلها ابرا وكلها يعلوها الصدأ ... ما أعجب هذا الاكتشاف ! - لا ريب ان طفلة لم تكن تحب الخياطة دستها فى هذا المخبأ .

لا ريب فى ذلك .

- إننى لمست شيئا أشبه بالكتاب .

وكان الكتاب قديما وفى حالة يرثى لها ... وكان موجزا لتعليم اللغة الفرنسية .

- ان امره كأمر الابر طبعا ... طفل كره ان يتعلم اللغة الفرنسية فدس كتابه فى بطن الحصان .

- ولكن من المتعذر ! ادخال شئ فى بطن الحصان حين يكون فى وضعه الصحيح .

- ليس ذلك بمتعذر على طفل لأنه يستطيع ان يمر من تحت الحصان ... آه .. ها هو شئ آخر .. لكأنه جلد حيوان .

- آه .. هل تظنين أنه جلد أرنب أو شئ من هذا القبيل ؟

وسحبت تونس ذراعها ثم قالت :

- انها محفظة ... وجلدها من نوع ثمين .

- دعينا نرى ما بها ... ولكن ربما كانت فارغة .

- كلا . قد نجد فيها بعض أوراق المالية من فئة الخمسة جنيهات .

- حتى اذا كان الأمر كذلك فلا ريب أنها تآكلت الآن .

- لا أظن ذلك فان الأوراق المالية كانت تصنع فيما سبق من نوع جيد من الورق .

- قد نجد فيها ورقة من فئة العشرين جنيها ... ستستعينين بها فى مصاريف البيت .

- اذا كانت الورقة يرجع تاريخها الى ما قبل ان يولد اسحاق فقد تكون من فئة المائة جنيه عندئذ . ولكننى أفضل ان أجد فيها جنيهات من الذهب . كان لدى عمتى ماريا محفظة محشوة بالجنيهات الذهبية وكانت ترينا اياها قائلة : انها كنزها لكى نعرف مكانه اذا ما هجم الفرنسيون واستولوا على انجلترا . لدى احساس بأنها كانت تتكلم عن الفرنسيين ، ومهما يكن فقد كانت تدخر المبلغ لوقت الشدة او عند الخطر . وكنت أقول لنفسى فى ذلك الوقت انه ليكون امرا رائعا أن أحصل على صرة من المال عندما أكبر .

- ومن ذلك الذى كان فى مقدوره أن يمنحك هذه الهدية ؟

- لم أكن أتوقع الحصول على هدية ، وانما كنت اعتبر تلك الجنيهات ملكا خالصا لى عندما أكبر . وكنت أتصور نفسى سيدة متقدمة فى السن ترتدى عباءة لها ياقة من الفرو ومعى صرة محشوة بالجنيهات الذهب آخذ منها وأعطى أحفادى عند خروجهم من مدارسهم .

- وحفيداتك ؟

- أظن انه لم يكن لهن الحق فى جنيهات من الذهب . كانت جدتى ترسل لى نصف ورقة من ذات الخمسة جنيهات .

- نصف ورقة ؟ .. ولكن لم يكن لها أية فائدة .

- بلى . لأنها كانت ترسل لى النصف الآخر فى خطاب تالى . كانت تظن انه بهذه الطريقة لا يمكن لأحد ان يسرق منى هذه النقود .

- هذا صحيح . آه . ما هذا ؟

ذلك ان توبنس كانت تفتش فى المحفظة الجلدية وقال تومى :

- هلمى بنا الى الخارج لحظة لكى نشم الهواء النقى .

وكان الطقس جميلا فى الخارج . وتمكنا من رؤية المحفظة فى وضوح أكثر .

كان الجلد متيبسا ولكنه كان لا يزال فى حالة جيدة . وقالت توبنس :

- ماذا تظن قد نجد فيها ؟

- لا أدرى ... ليس فيها نقود بالتأكيد .

- كلا . أظن انه خطاب .. لا أدرى هل نستطيع قراءته بعد كل هذه المدة .

بسط تومى الورقة المجعدة والمصفرة فى عناية كبيرة . كان الخط كبيرا ومكتوبا بحبر أزرق غامق . وكان هذا نصها :

مكان اللقاء تغير . كين جاردنز ، بجوار تمثال - بيتربان .

قالت توبنس :

- لقد حصلنا على شئ أخيرا .

- اذن فأنت تفترضين أن شخصا ما كان يجب أن يذهب الى لندن لاعطاء مستندات لآخر ينتظره فى كنسنجتون جاردنز ؟ ولكن من الذى استطاع أن يدس هذه الورقة حيث وجدناها .

- ليس طفلا طبعا . وانما شخص كان يقيم فى هذا البيت وكان فى استطاعته أن يروح ويجئ كما يشاء دون ان يشك أحد فى أمره .

لفت توبنس المحفظة والايشارب الذى كانت تضمه حول عنقها ثم أخذت طريق العودة الى البيت يتبعها زوجها . وقالت :

- ربما توجد أوراق أخرى ولكننى أخشى أن تنهار بمجرد لمسها ... آه ... ما هذا ؟

وأشارت الى طرد موضوع فوق المنضدة بالبهو . وفى نفس اللحظة خرج ألبرت من

غرفة الطعام .

– جاءوا به صباح اليوم يا سيدى .

– ماذا يمكن أن يكون به .

أخذت توبنس الربطة وجلست فى الصالون مع تومى . وفكت الرباط وازالت الورق الأسمر ثم قالت :

– اوه ... انه ألبوم ... ومعه كلمة من مسز جريفين .

" عزيزتى مسز بيرسفورد : – أشكرك لاحضارك ذلك الألبوم التذكاري أول أمس فقد كانت هذه لفتة كريمة منك .وقد سررت وأنا أقلب صفحاته وتذكرت عددا كبيرا من صديقات الماضى ... اننا ننسى سريعا وأحيانا لا نتذكر الا الاسم الأول للشخص وتنسى اللقب وأحيانا العكس . وقد وجدت هذا الألبوم حديثا واعتقد انه كان ملكا لجدتى وهو يحتوى على صور كثيرة وستجدين بينها صورتين أو ثلاثا لبعض أفراد آل باركنسون ، وكانوا من أصدقائها . وبما أنك تهتمين بتاريخ بيتك وبالناس الذين أقاموا فيه فقد خطر لى أنك قد تحبين أن تلقى عليهم نظرة . لا تفكرى فى أعادته بالتالى لأنه ليس فيه ما يثير اهتمامى " .

قالت توبنس :

– فلنلق عليه نظرة .

كان الألبوم المذكور ينم عن تاريخه فقد كانت أكثر الصور التى به باهتة صفراء . ورأت توبنس وتومى هنا وهناك بعض لقطات من بيتهما .

– انظر يا تومى ... ها هى الاوركارية وبجوارها ترولوف ... وها هى أشجار القار، لا ريب ان هذه الصورة التقطت أثناء احدى الحفلات لأننى أرى فيها عددا من الأشخاص جلوسا حول مائدة . وأرى اسم كل شخص مكتوبا تحت صورة ... مابل .. لم تكن جميلة ... وهذه ؟

قرأ توم :

- شارل وادموند ... يبدو انهما كانا قد فرغا لتوهما من لعب التنس فان كلا منهما معه مضربه .. الميجور كوتس ...

- و ... أوه يا تومى ... ها هى مارى .

- نعم . مارى جوردان ... ان الاسم واللقب مكتوبان .

- كانت جميلة ... فائقة الجمال على الرغم من ان الصورة باهتة ... أليس هذا مدهشا ،مثيرا معا ... ان نرى صورتها أخيرا .

- اننى اتساءل من الذى التقط هذه الصورة .

- من المحتمل أن يكون هو المصور الذى تكلم عنه اسحاق ... ومن الجائز ان يكون لديه غيرها ... يجب ان نذهب اليه وان نسأله يوما .

أقصى تومى الألبوم وفض خطابا جاءه فى بريد اليوم . وسألته توبنس :

- هل به شئ هام ؟

- ربما . يجب ان أذهب الى لندن غدا لكى التقى بالكولونيل بيكواس .

- ياله من اسم غريب ! لا أظن انك حدثتنى عنه قبل اليوم .

- اننى ذكرته فى حديثى معك مرتين أو ثلاثا بكل تأكيد .. وهو يعيش فى جو مشبع بدخان السيجار الذى يدخنه بدون انقطاع ... هل لديك أقراص ضد السعال ؟

- لا أدرى ... ربما تبقى شئ منذ الشتاء الماضى ... ولكنك لا تسعل .

- سوف أسعل بدون شك اذا خرجت لزيارة بيكواس . عندما أجلس فى مكتبه أظل أنظر الى النوافذ فى حزن وأسف ولكنه يتظاهر بأنه لا يفهم .

- ولماذا تظن انه يريد ان يراك ؟

- ليست لدى أية فكرة . ولكنه تكلم فى خطابه عن روبنسون .

- ذلك الرجل الضخم الزيتونى اللون الذى ذهبت لرؤيته فى اليوم الأسبق ؟

- هو نفسه .

نهضت توبنس وقالت :

سأذهب لكى أرى المصور . هل تريد ان تأتى معى ؟

- كلا . سأذهب لكى أغتسل .

- تغتسل ؟ ولكن الماء بارد جدا الآن .

- هذا لا يهم . اننى بحاجة الى حمام بارد ،منعش بعد هذا الغبار الذى استنشقناه..

- حسنا . وبهذه المناسبة كان هناك خطاب اخر لم تفضه .

- اننى نسيته . قد يكون فيه نبأ هام .

- من الذى أرسله ؟

- تلك السيدة التى تقوم لى ببعض الأبحاث .. انها رائعة .

- أهى جميلة أيضا ؟

- اذا كانت جميلة فاننى لم الحظ ذلك .

- يسرنى ان أسمع هذا . فان الرجل اذا ما تقدم فى السن ورأى امرأة جميلة فقد تراوده أفكار خطيرة .

- انك لا تعرفين كيف تقدرين زوجك المخلص يا توبنس .

- كل صديقاتى تعلن ان الرجال متقلبون دائما .

- ذلك انك لا تحسنين اختيار صديقاتك يا عزيزتى .

***

٥

اجتاز تومى ريجنت بارك واضطر ان يمشى فى شوارع متعددة لم يمش فيها منذ سنوات لكى يبلغ المكان الذى يقع فيه مكتب الكولونيل بيكواس . وفتحت الباب عجوز شمطاء لها أنف وذقن بارزان يبدو انهما يحاولان أن يلتقيا فخاطبها قائلا :

– هل أستطيع ان أرى الكولونيل بيكواس ؟

أجابته :

– لا أدرى ... من أقول له ؟

– اسمى بيرسفورد .

– آه . نعم ... انه ينتظرك .

تبع تومى المرأة الى الداخل . وكان المكان يعبق برائحة التبغ . وطرقت العجوز بابا فتحته وأطلت برأسها الى الداخل قائلة :

– السيد الذى تنتظره يا سيدى .

وأفسحت الطريق فدخل تومى غرفة مشبعة بالدخان . وغلبه السعال على الفور وتساءل اذا كان قد رأى الكولونيل بيكواس من غير هذا الدخان ومن غير رائحة النيكوتين التى تملأ الغرفة . وكان هناك رجل متقدم فى السن يجلس فى مقعد ذى مسندين رفع رأسه عندما دخل وقال :

– توماس بيرسفورد ... اننى لم أراك منذ سنوات ... آخر مرة رأيتك فيها أتيت مع ... ولكن لا يهم ... اجلس يا عزيزى .

رفع تومى بعض الكتب عن المقعد الوحيد الموجود فى الغرفة . وقال الكولونيل :

– ضعها على الأرض ... كنت أبحث فيها عن شئ ... يسرنى ان أراك ... انك

تقدمت فى السن شيئا ما ... ولكنك تبدو فى صحة جيدة ... ألم تصبك أية أزمات .

- كلا .

- هذا حسن . هناك أناس كثيرون مرضى بداء القلب وضغط الدم وأمراض أخرى غريبة ... وهذا من سوء حظهم فانهم يجرون من مكان لآخر ويروون للجميع انهم مرهقون بالعمل وأن الأرض لن تستطيع أن تدور من غيرهم وهم مقتنعون حقا بأهميتهم.

- ولكننى لا أحس اطلاقا بأننى مهم جدا ، بل على العكس تماما ... سأشعر بارتياح كبير عندما أحال الى المعاش .

- هذا غير العقل . ولكن المشكلة هى ان حولنا أناسا لا يسمحون لك أن تستريح ما الذى حملك على الانتقال الى مسكن آخر . وعلى فكرة ما اسم ذلك البيت الذى انتقلت اليه .

ذكر له تومى الاسم فقال :

- حسنا . اننى لم أخطئ اذن وأنا اكتب العنوان .

- كلا . وقد جاءنى خطابك .

- فهمت انك ذهبت لزيارة روبنسون . انه ما زال دائم النشاط ولكنه ازداد بدانة وازداد لونه اخضرارا كما ازداد ثراء . ما الذى دعاك الى زيارته ؟

- حسنا . أننا اشترينا ذلك البيت الجديد وقد أكد لى أحد أصدقائى ان فى مقدور مستر روبنسون أن يساعدنى فى جلاء سر يرجع عهده الى سنين عديدة ... سر اكتشفته زوجتى وهى تقلب صفحات كتاب قديم .

- اننى أتذكر الآن ان لك زوجة ذكية جدا وانها قامت بعمل مجيد فى وقت من الأوقات . انتما مستمران اذن فى نفس العمل ... هل كانت تراودكما الشكوك عندما اشتريتما ذلك البيت ؟

– كانت فى هولوكاى فى ذلك الوقت أسرة تعرف باسم باركنسون ..

– هذا جائز . لست على علم بكل التفاصيل لأننى لم أكن مهتما بهذه القضية ، ثم ان كل ذلك قد أصبح بعيدا جدا الآن . ومع ذلك فان البعض يأتينى بدون انقطاع ويسألوننى عن بعض الذين عرفتهم فيما سبق فهم أحيانا بحاجة الى التعمق فى أحداث الماضى وفى أسرار عصر آخر ، وبحاجة الى معرفة ما كان يفعله الآخرون ، وما كانوا يقولون ويكتمون ، وما كان يجرى حقيقة . انت نفسك وزوجتك اهتممتما بأعمال من هذا النوع مرارا كثيرة ، فهل فى نيتكما الاستمرار ؟

– لا أدرى . هل تظن أننى مازلت أستطيع ان أقدم بعض الخدمات ... اننى أصبحت طاعنا فى السن الآن .

– ولكنك والحق يقال تبدو فى صحة جيدة أكثر من أى شخص فى مثل سنك ، بل أحسن صحة من بعض شباب اليوم . أما زوجتك فقد برعت دائما فى اكتشاف صيد غير متوقع .

– ولكن ما الذى يدور الآن بالتحديد ؟ ... اننى مستعد لكى أبذل ما أستطيع اذا رأيت ذلك مفيدا . ولكن لم يقدم لى أحد حتى الآن أية معلومات أكيدة .

– ولا أظن انك ستعرف الكثير . روبنسون نفسه لن يخبرك بأكثر مما أخبرك به الآخرون ، فان هذا الرجل البدين يعرف كيف يمسك لسانه ، ولكننى سأطلعك على بعض الحقائق الهامة . انك تعرف الدنيا وما يقع فيها ... دائما نفس الأشياء حيث تسود المادية والخداع وتمرد الشباب وحب العنف المشبع بمقدار كبير من السادية . ان الأمر ليكاد يكون خطيرا كما كان أيام الشباب الهتلرى . وعندما نحاول أن نبحث عن الأسباب ، ليس فى بلدنا فحسب ولكن فى العالم أجمع نرى ان ذلك ليس بسيطا كما كنا نحسب ... السوق المستركة مثلا ... اننا جميعا أردنا وبحثنا عنها ، ولكن يجب أن تكون سوقا مشتركة حقا ... هذا ما يجب ان نضعه نصب أعيننا . يجب ان تنتهى

الى أوربا متحدة . يجب ان نتوصل الى أتحاد البلاد المتمدنة بأفكار وعقائد ومبادئ القوم المتمدنين . وعندما يختل شئ ما يجب أن نتمكن من تحديد هذا الخلل ومعرفة سببه . هذا ما يهدف اليه ذلك البدين روبنسون . هل تعرف انهم أرادوا الانعام عليه بلقب نبيل وأنه رفض . لا أظنك تجهل قيمته .

– ان له موهبة كبيرة من الناحية المالية ، أليس كذلك ؟

– نعم . انه حجة فى كل ما يتعلق بالمال . يعرف من أين يأتى وأين يذهب ولماذا . يعرف ما وراء البنوك والمؤسسات الصناعية ويعرف المسئولين عن بعض الفضائح والثروات التى نشأت من تجارة المخدرات والقمار والتجار الذين يوزعونها فى العالم أجمع . انه لا يجهل شيئا عن عبادة المال ، ولست أعنى المال الذى يستطيع شراء البيوت ولكننى أعنى ذلك الذى يستغل فى تدعيم أو تقويض العقائد القديمة ... عقيدة الشرف أو حرية التجارة . ليست هناك حاجة الى المساواة فى العالم ولكن يجب ان يساعد الأقوياء الضعفاء وان يمول الأثرياء الفقراء . كل شئ يقوم الآن على المال . هناك أناس يعرفون قوة المال وسلطانه وأناس كانوا يعرفون ذلك فيما سبق ... أناس لهم نشاط خفى يجب ان نكشفه كما يجب ان نكشف من الذى يملك الأسرار التى كانوا يعرفونها .

كان عش عصفور الجنة أو بيت الفار كما يدعى الآن مقرا عاما للشر اذا جاز لى هذا القول . وقد حدث فيما بعد شئ آخر من هولوكاى . هل تتذكر جوناتان كين ؟

– سمعت بعضهم ينطق باسمه . وهذا كل شئ .

– كان يمثل النازية ، وهى ما كانت تحظى باعجاب الشباب فى ذلك الوقت . ولم نكن نعرف عنئذ ما سيكون من أمر هتلر ورجاله . وكان للمدعو جوناتان كين أنصار كثيرون من الشباب وغيرهم ... وكانت لديه خططه وكان على علم ببعض الأسرار . كان يعرف ما يمنحه له السلطان . كان التهديد يلعب دورا كبيرا كغيره . حسنا . نريد

ان نعرف ما كان يعرفه وما كان يفعل لأننى أظن أنه ترك وراءه كثيرين من مؤيديه . شبان تشربوا بمذهبه ، وفى الاستطاعة ان يحتفظوا حتى اليوم بالآراء التى تشبعوا بها..

وأنت تعلم ان هناك دائما أسرارا تساوى أموالا كثيرة . لا أقول لك شيئا معينا لأننى لا أعرف شيئا معينا والمزعج ان ما من أحد منا يعرف شيئا تماما . اننا نعتقد اننا نعرف كل شئ طبقا للاحداث التى شهدناها . الاضطرابات والحروب والسلام والحكومات الجديدة . تعم ، اننا نحسب اننا نعرف كل شئ ولكننا نخطئ ، فهل نحن على علم مثلا بالنقاط التى تتعلق بحرب الجراثيم . وهل نعرف كل ما يتعلق بالغازات والوسائل المختلفة للتلوث . ان للكيماويين أسرارهم كما لرجال البحرية والطيران . وهذه الأسرار لا ترتبط دائما بالوقت الحالى ، ولكن جذورها تتغلغل أحيانا فى أعماق الماضى ، وبعضها لم يتمكن المسئولون من استغلالها لأن الوقت لم يسعفهم لذلك ، ولكنها موجودة اما على الورق واما مع بعض الأشخاص . وهؤلاء الأشخاص انجبوا أولادا وأحفادا احتفظوا بهذه الأسرار فى طى الكتمان ، ولن يترددوا فى استخدامها فى الوقت المناسب .

وأمسك الكولونيل لحظة ثم أردف يقول فى تفكير :

– وبعضهم يجهل ما لديهم من أسرار والبعض الآخر أتلف المستندات التى كانت لديهم . ولكن من واجبنا أن هدوءا كالسويد وسويسرا ... فى كل مكان . هذه الأسرار موجودة ونريد أن نكتشف حقيقتها ، وهذه الحقيقة توجد أحيانا فى الماضى ولا نستطيع طبعا أن نلجأ الى أحد الأطباء ونقول له :

– نريد ان نستعين بالتنويم المغنطيسى لكى نعرف ما كان يدور سنة ١٩١٤ أو سنة ١٩١٨ أو سنة ١٩٢٠ . رسمت خطط لم توضع أبدا موضع التنفيذ ، وتكونت آراء ، وأنت تعلم انه منذ العصور الوسطى والناس تحلم بالتحليق فى الجو كما تفعل الطيور

والمصريون أيضا كانت لديهم أفكار لم تنفذ أبدا ولكن حين تنتقل هذه الأفكار الى قوم جديرين بفهمها وتطويرها ويملكون الوسائل لتنفيذها فقد يقع أى شئ ان خيرا وان شرا ولدينا احساس بأن بعض الاكتشافات ... حرب الجراثيم مثلا من الصعب توضيحها الا عن طريق بعض التطورات السرية ... واذا قام أحد بمثل هذه التطورات فقد تنتج عنها كوارث فظيعة . ومن ناحية أخرى فان بعض الأشياء يمكن أن تبدل شخصا تبديلا كليا فتجعل منه رجلا خيرا أو تحوله الى وحش ضار ، وبين هذه الأشياء يقوم المال فى المكان الأول لأنه يمكن الحصول به على كل شئ . حسنا يا عزيزى بيرسفورد ما رأيك فى كل هذا ؟

– انه احتمال مخيف فعلا .

– لا تظن ان كلامى هذا سخيف لا يعدو ان يكون هذيان رجل طاعن فى السن .

– طبعا لا . لأننى أعرف انك على علم بأشياء كثيرة .

– هو ذلك . ولهذا بالذات يحتاجون الى . فقد كانوا يأتون لزيارتى ، وكانوا يشكون من الدخان ويقولون انهم يختنقون ولكنهم كانوا يعودون من جديد على الرغم من ذلك . هل تتذكر قضية فرانكفورت التى استطعنا ايقافها بأن اهتدينا الى الرجل الذى كان يحرك الخيوط ؟ حسنا .. فى هذه القضية التى تهمنا الآن شخص يحرك خيوطها كذلك . بل لعل خلفها أشخاصا كثيرين ، ومن المحتمل اننا قد نهتدى الى اكتشاف حقيقتهم ، ولكن حتى اذا لم نستطع ذلك ففى مقدورنا ان نحاول معرفة كنه الأشياء ... ألا تعتقد ان كل هذا خيال ؟

– ان الحقيقة تبدو أحيانا أغرب من الخيال . وقد أدركت ذلك من تجاربى الطويلة فان أشد الأمور غرابة يمكن أن تكون حقيقة أحيانا ، ولكننى أحب أن أقول لك انه ليست لى أية أهلية حقيقية ولا أية معرفة علمية . لم أهتم الا بأمن البلاد .

– ومع ذلك فانك كثيرا ما اكتشفت بعض الأسرار انت وزوجتك . ولكن اتفق الآن

انكما تجدان نفسيكما فى المكان الصحيح . انكما تمثلان زوجين فى سن معينة يحاولان قضاء أيامها فى أمان وهدوء ، فافتحا أعينكما وأرهفا سمعكما فقد يقع شئ هام ذات يوم وفى أثناء ذلك حاولا أن تكتشفا القصص والأساطير التى يروونها والتى دارت فى السنوات الأخيرة .

– سمعت أخيرا عن فضيحة دارت فى الأوساط البحرية ... رسوم غواصة سرقت ولكن لم يستطع أحد ان يقدم لى معلومات محددة .

– هذه نقطة بداية على كل حال . يبدو لى ان جوناتان كنت كان يقيم فى النواحى فى ذلك الوقت . كان يسكن فى فيللا تقع على مقربة من البحر ، وكان له مريدون كثيرون كانوا شديدى الاعجاب به ، ثم رحل وعبر ايطاليا لكى يمضى الى البلاد البعيدة. ويقال أيضا انه ذهب الى روسيا وايسلندا وأمريكا ، ولكننا لا نعرف ماذا فعل فى الواقع .

وأمسك الكولونيل عن الكلام مرة أخرى ثم عاد يقول بعد لحظة :

– فتشا ونقبا ، ولكن توخيا الحذر ولا تقدما على أية حماقات ، واحرص على زوجتك وانتبه الى ما تأكلان وما تشربان والى الأشخاص الذين تخالطانهم .

– ستبذل كل ما فى وسعنا . ولكننى لا أظن اننا سنفلح أبدا فقد تقدمت بنا السن بحيث لم نعد نصلح لمثل هذا العمل . ثم اننا لا نعرف عنه الكفاية .

– قد تطرأ لكما أفكار مثيرة للاهتمام .

– تظن زوجتى ان المستندات قد تكون مخبوءة فى البيت .

– هذا ممكن . لقد خطرت هذه الفكرة للبعض فيما سبق ولم يكتشف أحد شيئا ما طبعا ، ولكن لعلهم لم يبحثوا بكل الحماس والاقتناع الضروريين . ان البيوت يتغير أصحابها وتباع ويعاد بيعها وتؤجر ويعاد تأجيرها ، وقد كا آل باركنسون من ضمن من توالوا على البيت ولا نستطيع ان نقول الكثير عنهم فيما يتعلق بأحد أبنائهم .

- الكسندر ؟

- اذن فقد سمعت عنه هو أيضا .. كيف كان ذلك ؟

- ترك رسالة فى كتاب وجدته زوجتى فى البيت " مارى جوردن لم تمت ميتة طبيعية " .

- هناك مثل يقول " ان مصير الرجل معلق فى عنقه " . استمر فى أبحاثك يا بيرسفورد وأعبر باب القدر .

***

٦

فى فترينة محل مستر دورانس بعض صور الزواج وطفل وليد كما ولدته أمه يرتجف فوق غطاء ، وصورتان أخريان لشابين ملتحيين وصديقتيهما .ولم تكن الصور جيدة وكانت بعضها تنم على قدمها . وكان بالفترينة أيضا بعض البطاقات البريدية والبطاقات التذكرية والأجندات وكلها من نوع عادى غير ممتاز .

ودخلت توبنس المحل الصغير وأخذت تقلب فى بعض المعروضات فى حين كانت سيدة مسنة تنتقد احدى الصور . وتقدم شاب ذو شعر طويل ، أشقر ، له لحية قصيرة نحو مسز بيرسفورد وسألها قائلا :

-أية خدمة أستطيع أداءها لك يا سيدتى ؟

- أريد بعض المعلومات عن الألبومات التذكارية .

- ليست لدينا تشكيلة كبيرة منها لأنها لم تعد كثيرة الطلب فى الوقت الحاضر .

- هذا صحيح ، ولكننى أهوى جمعها ، خصوصا اذا كانت قديمة جدا كهذا .

وأخرجت توبنس الألبوم الذى أرسلته اليه مسز جريفين بطريقة غريبة كما يخرج الحاوى من جرابه شيئا لا يتوقعه النظارة . وقال الشاب :

- انه قديم جدا فى الواقع . اننى واثق انه مضى عليه أكثر من خمسين عاما . كل منا كان لديه ألبوم من هذا النوع فى ذلك العهد .

- كانت هناك البومات تذكارية أيضا .

- نعم أظن ان جدتى كانت تملك واحدا وكانت صديقاتها تسجل فيه أسماءهن . اننا مازلنا نبيع بطاقات تذكارية بالطبع ، ولكن بطاقات المعايدة هى التى يكثر طلبها اليوم .

- ألا أجد لديكم البومات قديمة ، فقد يستهوينى بعضها ؟ ... هذا يثير دهشتك

طبعا .

- أبدا يا سيدتى ، ان كل الناس تهوى جمع بعض الأشياء هذه الأيام . وهم يشترون أشياء لا يمكن ان تخطر لك على بال . لا أظن ان لدى البومات قديمة كهذه ، ولكننى أستطيع أن ألقى نظرة على كل حال .

ومضى مستر دورانس خلف المنضدة وفتح درجا وقال :

- ان لدى أشياء غريبة هنا وقد فكرت فى اخراجها أكثر من مرة ، ولكننى لا أظن ان من الممكن بيعها الآن . ولدى مجموعة من صور الزواج ... يطلبها الناس فى حينها ولكنهم لا يأتون لاستلامها بعد ذلك .

- ألا يأتيك أحد مثلا ويقول لك ان جدتى تزوجت فى هذه القرية وأتساءل اذا لم يكن لديك صورة لها .

- لا أظن أن أحدا قد سألنى ذلك أبدا ، ولكن قد يحدث هذا لأن الناس تطلب أحيانا أشياء غريبة ... أحيانا صورة طفل وليد . وأنت تعرفين أمهات اليوم فان الواحدة تريد صورا لأولادها عندما كانوا صغارا على الرغم من ان أغلب هذه الصور رديئة غير جيدة وفى بعض الأحيان يأتى رجال البوليس فى محاولة للتعرف على شخص يشتبهون فى انه ارتكب جريمة .

ابتسم الشاب وقال :

- هل تهتم بالجرائم ؟

- وهذا يقطع علينا رتابة كل الأيام .

- الواقع اننا نقرأ أحيانا أنباء بعض القضايا التى لا تفتقر الى عنصر الاثارة ... مثال ذلك رجل يشتبه فى أنه قتل زوجته منذ ستة شهور ، ويدعى البعض انها لا تزال على قيد الحياة ، وانها تختفى فى مكان ما ويقول البعض الآخر انها مدفونة فى الحديقة .

بدأت توبنس تفكر فى أن هذا الحديث لن يأتى بالنتيجة المرجوة وقالت

– أظن اننى لن أجد عندك صورة لفتاة تدعى مارى جوردان ، ماتت فى هولوكاى منذ ستين سنة ؟

– كان أبى يحتفظ بمجموعة كبيرة من الصور القديمة ، واسم جوردان هذا يعيد الى ذاكرتى ذكريات غامضة ألم تتورط تلك الفتاة فى قضية تجسس ؟ يبدو انها كانت نصف روسية ... أو المانية ... لا ادرى تماما . – ألا تظن ان لديك صورة لها .

– سنبحث عنها عندما أجدلحظة فراغ وسأخبرك بذلك . لاريب انك كاتبة روائية .

– يا الهى ! يا الهى ! ... لا أقضى كل وقتى فى الكتابة ، ولكن من الجائز حقا أن أضع كتاباً عن هذه الفتاة .. ويسرنى أن أجد صورا يرجع تاريخها الى ذلك العهد .

– هذا هام جدا ... سأبذل جهدى لخدمتك .

– وأتساءل أيضا اذا كنت قد سمعت عن آل باركنسون ... أظن انهم كانوا يقيمون فى البيت الذى اشتريناه .

– هل تقصدين ذلك البيت الذى فوق الرابية ... بيت الغار ؟ ... كان معروفا باسم آخر فى ذلك الوقت " عش عصفور الجنة " . كما أعتقد .

اشترت مسز بيرسفورد بعض البطاقات ثم غادرت المحل ومضت الى بيتها . وعندما بلغت البيت سارت الى المستنبت وفى نيتها ان تلقى عليه نظرة ، ولكنها توقفت فجأة عندما اقتربت من الباب ، فقد رأت شيئا اشبه بربطة من الثياب القديمة . وأخذت تسير وهى تكاد تعدو تقريبا . وتوقفت على بعد خطوات من المستنبت . كانت ثيابا قديمة فعلا ، ولكن كان بداخلها جثة للأسف . وانحنت ولكنها لم تلبث ان اعتدلت فى وقفتها من جديد وهى تستند بالباب . وتمتمت : – يا لاسحاق المسكين !

وفى اللحظة ظهر البيرت على عتبة الباب فخاطبته قائلة :

– البيرت ... اوه يا البيرت ... هذا فظيع .. انه مات ...وأظن أنه مات مقتولا .

٧

فرغ الطبيب من تقديم تقريره ، واستمع المحققون بعد ذلك الى أقوال مسز بيرسفورد وزوجها وزوجة ابن الفقيد ، وأخيرا الى أقوال رجلين كان اسحاق بودليكوت يعمل عندهما فى وقت من الأوقات . وكذلك استمعوا الى أقوال شابين كان اسحاق قد عنفهما تعنيفا شديدا منذ أيام ولكنهما احتجا ببراءتهما . وصدر الحكم كما كان يتوقع الجميع ... قتل عمد ارتكبه مجهول أو مجهولون .

وغادرت توبنس القاعة برفقة زوجها . وقال هذا الأخير وهما فى طريق العودة :

– انك أحسنت التصرف أكثر من الآخرين . كانت أقوالك فى غاية الوضوح . وقد بدا السرور على المحقق .

– لا يهمنى ما يعتقده المحقق ، ولكننى حزينة جدا لمصرع هذا المسكين اسحاق .

–ليس هناك شك فى أن شخصا ما كان يحقد عليه .

– ولأى سبب .

– لا أدرى .

– ولا أنا . ولكن لا يسعنى الا أن اتساءل اذا لم نكن قد تسببنا فى موته شيئا ما .

– ماذا تعنين ؟

– تعلم تماما ماذا أعنى ... بسبب هذا البيت ... بيتنا . يبدو . انه ليس بالمكان المناسب كما حسبنا فى بادئ الأمر . ثم لدى إحساس بأن فيه شيئا غير عادى ... ضغينة قديمة جذورها تنبت فى أغوار الماضى .

– مارى جوردان ؟

– نعم . واننى أفكر فيها واتساءل فى نفس الوقت ما هى العلاقة التى قد تكون

موجودة بين الحاضر والماضى والبعيد .

- ان للماضى فى بعض الأحيان انعكاسا غريبا على المستقبل ... انعكاس لا يخطر على بال أحد .

- انها تشبه تقريبا قصة جين فين والمغامرات التى عشناها فى ذلك الوقت .

- نعم . وعندما أعود بذهنى الى أحداث الماضى أتساءل كيف استطعنا ان نخرج من تلك القصة سالمين .

- اننى لا أحاول أن أتذكر ذلك الماضى على وجه الخصوص الا على أنه وسيلة من الوسائل اذا جاز لى هذا القول فقد بدأنا حياتنا بهذه القصة .

راحت توبنس تضحك . وعاد تومى يقول :

- لن أنسى أبدا ذلك اليوم الذى دخلت فيه ذلك البنسيون ورأيتك جالسة تشتغلين بحبك الصوف . كيف وجدت الجرأة على ان تفعلى ذلك ؟ .. تنقلين ذلك الدولاب لكى تنصتى الى حديثى ..

ضحكت توبنس مرة أخرى واستطرد تومى :

- لا أظنك تعتقدين على كل حال ان تلك القصة كانت وسيلة ، كما تقولين ، لكى نصل الى تلك التى تهمنا اليوم .

- بل هذا ما اعتقده من ناحية معينة ، لأننى أعتقد ان مستر روبنسون ما كان ليطلعك على تلك الأسرار لو لم يكن على علم بتلك القضية التى اهتممنا بها فى الماضى . ولكن موت اسحاق شئ آخر ... ومع ذلك فلا يسعنى الا أن أفكر بأن لموته علاقة بأحداث الماضى .

- ولكن اذا كان الأمر كذلك فلماذا لم يحاولوا قتلنا نحن ؟

- من الجائز انهم سيفعلون . ولعل اسحاق كان على وشك أن يخبرنا بشئ . ولعله هدد شخصا ما بأنه سيحدثنا عن تلك الفتاة أو عن الكسندر باركنسون ... وعن قضية

التجسس التى سبقت حرب ١٩١٤ ، والأسرار التى بيعت للعدو ، فقرر قتله عندئذ . لو اننا لم نأت للاقامة فى هولوكاى ، ولو لم نلق تلك الأسئلة لما حدث له شئ..

- لا داعى لهذا الاضراب يا توبنس .

- اننى شديدة الانفعال . ومن الآن فصاعدا لن اتصرف بدافع الفضول فحسب لأن هذه القضية ليست دعابة . اننا ننازل قاتلا ويجب أن يكون فى مقدورنا ان نكشف القناع عنه . اننا لم نعد نتحرى عن الماضى ولكن عن الحاضر . عن جريمة لم يمض على ارتكابها أكثر من خمسة أو ستة أيام وتمسنا عن قرب .

يجب أولا ان نجمع كل الأدلة ثم نقتفى الأثر بعد ذلك كما يفعل كلب الصيد .

- ولكن لا أخالك تعتقدين يا توبنس اننا قد نجد الفرصة لكى ..

- بل سنجدها ... لا أدرى كيف سنتصرف ، ولكننى مقتنعة أننا حين نهتدى الى فكرة ما ..

حلقت بعض العصافير فوق رأسيهما ، ورفعت توبنس عينيها ثم عادت فنظرت الى باب الحديقة قائلة :

- ما هى تلك العبارة التى تنتهى بها قصيدة باب الموت ؟.

- تعنين باب القدر ؟

- نعم . أشعر بأن لتلك العبارة صلة باسحاق المسكين ... باب القدر ... هو أيضا باب حديقتنا .

أمسكت توبنس عن الكلام لحظة ثم عادت تقول :

- خطرت ببالى فكرة الآن .

ألقى تومى الى زوجته نظرة حائرة وهز رأسه . واستطردت المرأة العجوز :

كان هذا البيت يدعى فيما سبق " عش عصفور الجنة " . وهو اسم جميل ، أو على الأقل كان يمكن ان يكون جميلا فيما سبق .

– ان لك أفكارا غريبة حقا .

– ومع ذلك ... أفليست هذه زقزقة عصفور ؟ .. هكذا تنتهى تلك القصيدة ، أليس كذلك ؟ .. ولعل كل شئ ينتهى هكذا .

كان توبنس وتومى لا يزلان يبعدان عن البيت بنحو خمسين خطوة عندما أبصرا بأمرأة واقفة بعتبة الباب .

وقال توميى :

– اننى اتساءل من تكون ؟

– هى امرأة رأيتها قبل ذلك ... قريبة لاسحاق العجوز ... أدلت بأقوالها فى التحقيق . كانوا يقيمون كلهم معا .. أعنى تلك المرأة وولداها الاثنان وابنتها واسحاق ولكن ربما أكون مخطئة طبعا .

وكانت المرأة قد تحولت واقبلت نحوهما . وقالت تخاطب توبنس :

– مسز بيرسفورد ؟ ... أليس كذلك ؟

– نعم .

– انها زوجة ابن اسحاق ... زوجة ابنه ستيفن الذى قتل فى حادث سيارة منذ خمس سنوات ... أريد أن أتحدث اليك يا مسز بيرسفورد ... كان اسحاق يعمل عندكما ، أليس كذلك ؟

– نعم .. كان يعنى بالحديقة .

– أتيت لكى أشكرك على الزهور التى أرسلتها ... كانت جميلة .

– هذا أقل شئ ... كنا ندين له لأنه عاوننا كثيرا فى الاقامة هنا وزودنا بنصائح ثمينة بخصوص الحديقة . قال لنا ما يجب ان نفعل وما يجب أن نزرع .

– أشخاص كثيرون من أسرته عملوا بهذا البيت قبله . وكان يعرف أشياء كثيرة عن القرية وعن المقاطعة . حسنا يا سيدتى . اننى لا أريد أن أطيل عليكما ، وانما

أدرت أن أعبر لكما عن مدى امتنانى أظن أنكما بحاجة الآن الى شخص آخر للعناية بالحديقة ؟

طبعا ، قاننا لا نفهم كثيرا فى الفلاحة .

وترددت تونس كثيرا وهى تتساءل اذا لم يكن سؤالها فى غير موضعه ، واذا كان على الأقل سابقا لأوانه . وقالت أخيرا :

- لعلك تعرفين أحدا يرضى أن يشتغل عندنا .

- الواقع أننى لا أعرف أحدا بالذات فى الوقت الحاضر ،ولكننى سأفكر فى الأمر وسأرسل لك ابنى الثانى ، هنرى ، لكى يغطيك الرد ... طاب يومك يا سيدتى ... ويومك يا سيدى .

وانصرفت المرأة .. ودخلت تونس وتومى البيت . وقال تومى :

- ما لقب اسحاق .. ؟ لا أستطيع أن أتذكره .

- يبدو لى أنه بودليكوت .

- اذن فهذه المرأة تدعى بودليكوت .

- طبعا . هل تظن أنها تعرف من الذى قتل والد زوجها ؟

- لا أظن ذلك . وانما أظنها جاءت لتشكرنا على هذه الزهور فحسب . اذا كانت تشك فى شئ لأخبرتنا به طبعا .

- هذا جائز ولكنه ليس مؤكدا .

***

٨

فى صباح اليوم التالى كانت توبنس واقفة تبدى بعض الملاحظات لكهربائى جاء لتعديل بعض التركيبات عندما ظهر البيرت وقال لها :

– هنا فتى يريد ان يحدثك يا سيدتى .

– ومن هو ؟

– لم أسأله عن أسمه وهو ينتظر أمام الباب لبست توبنس القبعة العريضة التى تلبسها فى الحديقة ، وهبطت الدرجات الأمامية للبيت ، حيث وجدت صبيا فى الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من عمره واقفا أمام الباب خاطبته قائلة :

– أظنك هنرى بودليكوت ؟

– نعم يا سيدتى . وجدى هو الذى كان يشتغل لديك .

– هذه فاجعة حقيقية ، أليس كذلك ؟ .. انه لأمر محزن .

– نعم . ولكنه كان طاعنا فى السن ، ولا أظن أنه كان يعيش أكثر من ذلك . كان يسعل بصورة مخيفة كل خريف . وقد أتيت لأرى ان كان لديك عمل ما أستطيع انجازه. وقد قالت لى أمى ان هناك بعض الخس يحتاج الى عناية خاصة ، وأستطيع أن أقوم بذلك اذا أردت وأعرف مكانه لأننى كنت أرافق جدى أحيانا عندما كان يأتى هنا.

تبعت المرأة العجوز الصبى حتى آخر الحديقة حيث قال :

– ها هو ... انه مزروع هنا ، ويجب ان نوليه عناية خاصة اذا أردت أن ينمو .

– اعترف بأننى لا أفهم كثيرا فى زراعة الخس ... أننى لا أهتم الا بالزهور ، ومع ذلك فاننى أظن أنك لا تريد ان تعمل بستانيا عندى .

– اوه ، كلا يا سيدتى ، فاننى مازلت أختلف الى المدرسة . ولكننى أؤدى بعض الأعمال الصغيرة الى جانب ذلك . اننى أبيع الجرائد واجنى الثمار فى بعض الأحيان .

- حسنا . اذا كنت تعرف أحدا يريد أن يشتغل فى الحديقة فأخبرنى بذلك .

- اتفقنا يا سيدتى .

- استدارت تونس وسارت نحو البيت . وفى منتصف الطريق رأت انها فقدت ايشارب فعادت أدراجها ، وتقدم الفتى نحوها فقالت له :

- اننى أبحث عن ايشاربى ... آه ، ها هو . فى ذلك الدغل .

ناولها الفتى الايشارب ثم رفع عينيه اليها مرتبكا فقالت :

- ما الخبر ؟

وازداد ارتباك الفتى وقال :

- هو أمر ... أريد ان أسألك عنه يا سيدتى .

- وما هو ؟

أحمر وجه الفتى وقال :

- ان ذلك يزعجنى يا سيدتى ... ولكن الناس يقولون ... ثمة أشياء .

تساءلت تونس ما الذى يزعج الفتى الى هذا الحد ، وماذا تراه سمع عنها وعن تومى :

- ماذا يقولون ؟

يقولون انك انت وزوجك كشفتما عن ذلك الجاسوس الألمانى أثناء الحرب وان مغامرات كثيرة وقعت لكما ، وانكما كنتما فى قلم المخابرات . وانه لمن المدهش أن نعرف انكما تقيمان فى قريتنا الآن ويقولون كذلك انه كانت هناك قصة غناء أطفال فى تلك القضية ، وأعترف بأننى لم أفهم جيدا ما دخل غناء الأطفال فى تلك القضية .

- كان ذلك نوعا من الشفرة .

عاد الفتى يقول :

- عظيم . أيزعجك أن أتحدث مع صديقى كلارنس عن ذلك ؟ ان اسمه غريب ،

أليس كذلك ؟ انهم يسخرون منه فى المدرسة بسبب اسمه هذا ، ولكنه فتى شهم كريم ويسره أن يعرف اتكما تقيمان هنا .

ونظر الفتى الى تونس فى اعجاب وعاد يقول :

- هذا مدهش .

- لقد مر وقت طويل على كل ذلك كما تعلم .

- وهل كان ذلك ممتعا ؟... هل أحسستما بالخوف ؟

- الواقع اننا أحسسنا بالاثنين معا . ولكننى أظن ان الخوف كان أكثر .

- اننى أفهم هذا . غريب أن تأتيا الى قريتنا وان تهتما بقضية من نفس النوع . ضابط فى البحرية الانجليزية كما سمعت ... ولكن يقال انه كان المانيا فى الواقع ، أو هذا على الأقل ما يقوله كلارنس .

- هذا جائز .

- لعلك أتيت هنا انت وزوجك لهذا السبب ... لأنه وقعت أمور فى هذه القرية فيما سبق . تحدثوا عن ضابط باع رسومات غواصة ... أخيرا ... هذا ما يقولون .

- لم نأت للاقامة هنا لهذا السبب وانما لأننا عثرنا على البيت الذى يروق لنا ، ومع ذلك فقد سمعت بعض الشائعات .

- انهم يقولون أشياء كثيرة ولكننا لا نعرف أبدا ما هو الحقيقى وما هو الباطل .

- وكيف عرف صديقك كلارنس بذلك ؟

- عرفه من ميك الذى يقيم بجوار الحداد . وقد مات هذا الأخير الآن ولكنه كان يعرف أشياء كثيرة ... تماما كجدى اسحاق ... كان جدى يحدثنا عن ذلك فى بعض الأحيان .

- اذن فقد كان يعرف هو الآخر ؟

- نعم . واننى أتساءل هل قتلوه لهذا السبب . لعله كان يعرف أكثر مما يجب .

– هل كان يتحدث كثيرا عن تلك الأحداث ؟

– ليس كثيرا . ولكن أحيانا وهو يدخن غليونه . وكان كلارى وتوم جيلنجهام ، وهو زميل آخر ، يريدان معرفة المزيد دائما . وكان جدى يحكى ولم نكن نعرف طبعا اذا كان يذكر الحقيقة أو اذا كان يبتدع بعضا منها . ومع ذلك فاننى أعتقد أنه اكتشف بعض النقاط وان ما يحكيه لم يكن يخلو من الحقيقة .

– هل تعلم ان كل هذا مثير . حاول أن تتذكر ما كان يقول ، فقد يساعدنا ذلك على معرفة من قتله .

– فكرنا فى بادئ الأمر انه مات قضاء وقدرا لأن قلبه ضعيف ، وكان يحدث ان يصيبه الدوار من وقت لآخر . ولكن قيل فى التحقيق انه مات مقتولا ، فهل هذا صحيح ؟

– ليس هناك أى شك فى ذلك . يجب ان تكتشف القاتل بأية صورة . أليست لديك اية فكرة عنه ؟

– كلا حقا . كان جدى يقول أحيانا ان بعض الناس يحقدون عليه ولكنه كان يتكلم دائما عن أناس فارقوا الحياة منذ وقت طويل ولا أظن ...

قاطعته توبنس قائلة :

– يجب ان تساعدنا يا هنرى .

– هل تعنين انك ستتركيننى أبحث معك ... ربما اكتشف شيئا .

– على شرط ان تمسك لسانك وان لا تطلع أحدا على ذلك .

– اننى فاهم . ربما يطلع الزملاء القاتل بدون علمهم ، وقد يكون فى ذلك الخطر لك ولمستر بيرسفورد .

– طبعا . ولن يروق لى ذلك كثيرا .

– اسمعى . اذا عرفت شيئا فسآتى وأسألك اذا كان لديك عمل وتريدين أن تعهدى

به الى .ما رأيك ؟ أستطيع عندئذ ان أطلعك على كل ما أعرف دون ان يشك أحد . ليس لدى ما أخبرك به فى الوقت الحالى ولكن لى بعض الأصدقاء .

وأخذ الصبى هيئة أكثر جدية كأحد الممثلين الذين يراهم فى التليفزيون وقال :

– غالبا ما يثرثر الناس ولا يخطر لهم اننى أصغى اليهم . ولكننى أسجل فى ذهنى كل ما يقولون .

هذه المسألة خطيرة يا هنرى ويجب ان تكون شديد الحذر . هل تفهم ؟

– طبعا يا سيدتى . سأكون شديد الحذر . ان جدى كان يعرف بعض الأشياء عن هذا البيت الذى اشتريته ، ويعرف قصصا معينة . كان يعرف أين كان يذهب الناس وماذا كانوا يفعلون وماذا كانوا يروون . وكان يعرف أيضا الأماكن التى كان يمكن ان تستخدم كمخابئ . عندما كان يتكلم لم تكن أمى تصغى اليه لأنها كانت تعتقد انه يردد ما يسمعه : ولكننى كنت أهتم أنا وكلارنس بما يقول وغالبا ما قال كلارنس لى : هذا يبدو كفيلم سينمائى . وكنا نناقش الأمر معا .

– هل سبق ان سمعت عن مارى جوردان ؟

– طبعا . كانت جاسوسة المانية ..: وكانت تستخلص الأسرار من ضباط البحرية .

قالت توبنس دون ان تتورط :

– أظن ان الأمر كان كذلك .

بدا لها ان من الأفضل ان تتمسك بهذه القصة وهى تعتذر فى نفسها لروح مارى جوردان المسكينة .

وعاد الفتى يقول :– أظن انها كانت جميلة جدا .

– الواقع اننى لا أدرى . لم يكن عمرى يزيد عن ثلاث سنوات عندما ماتت .

* * *

قال تومى عندما دخلت زوجته البيت .

- أراك مبهورة الأنفاس ، وشديدة الانفعال .
- هذا صحيح قليلا .
- أرجو ان لا تكونى قد أرهقت نفسك فى الحديقة .
- كلا بالطبع . لم أفعل أكثر من الثرثرة شيئا ما .
- مع من ؟
- مع صبى .
- هل جاء يعرض عليك خدماته ؟
- نعم ولا . كان يبدى لى اعجابه .
- بالحديقة ؟
- بل بى أنا .
- ياللشيطان !
- لا تستغرب هكذا .
- اترينه معجبا بجمالك أم بالعفريتة التى تلبسينها فى الحديقة .
- بل معجب بماضى . كان شديد التأثر حين عرف اننى أنا التى كشفت القناع عن الجاسوس الألمانى خلال الحرب الأخيرة ... الضابط البحرى المزيف .
- يا الهى ! ... هل تعود هذه الحكاية للظهور ؟ ... ألا يمكن ان ننساها أبدا ؟
- فيما يتعلق بى أنا لا أظن اننى سأنساها . ولماذا أنساها على كل حال ؟ ... لو اننا كنا من الممثلين المشهورين لأحببنا ان نستعيد الماضى .
- اننى أدرك وجهة نظرك هذه طبعا . ولكنك تكلمت عن صبى . كم عمره ؟
- اثنتى عشرة أو ثلاث عشرة سنة . وله زميل آخر اسمه كلارنس .
- حسنا . وما دخلهما فى هذه القصة ؟
- لا شئ حتى الآن . ولكن لهما أعوان . وهما لا يتأخران عن خدمتنا لاكتشاف

أشياء معينة .

- اذا كانا فى الثالثة عشرة من العمر فكيف يستطيعان تذكر الأشياء التى تهمنا . ماذا قال لك ؟

- لا شئ معين . كان يحاول ان يوضح لى ما سمعه لا أكثر .. أوه ... انه لا يعرف أشياء كثيرة ..

- لا أعرف . ولكننى مقتنعة انه كان فى مقدوره أن يفعل شيئا .

- أى ؟

- من الصعب أن أقول لك . لاريب ان الصبية سمعوا عن بعض الأماكن ويتلهفون لتذوق أفراح الاكتشاف .

- أى نوع من الاكتشاف ؟

- الأشياء أو المستندات التى يقال انه يمكن ان تكون مخبوءة هنا .

- مخبوءة ... أتعود هذه الكلمة مرة أخرى ؟... ولكن أين ؟ .. ومتى ؟ ..

- لا أعرف . ولكننى مقتنعة أن اسحاق العجوز كان فى نيته أن يخبرنا بأكثر مما قال لنا ، وقد قتلوه لهذا السبب ، ولأنه كان يمكن ان يكون خطرا على شخص ما . يجب ان نكتشف القاتل . لا أدرى اذا كانت كلمة مخبوءة هى الكلمة المناسبة ، ولكن من المؤكد ان هناك شيئا مريبا فى هذا البيت ... مستند تركه شخص ما أو عهد به الى آخر ، وكان اسحاق على علم بذلك . ولا ريب انهم اشفقوا من أن يروى لنا ما يعرفه لأن سمعتنا أصبحت معروفة الآن .

ومما لاشك فيه ان لكل هذا علاقة ما بقضية مارى جوردان .

- مارى جوردان التى لم تمت ميتة طبيعية .

- وقتل اسحاق هو الآخر . يجب ان نكتشف القاتل وألا ..

- يجب ان نتوخى الحذر يا توبنس على كل حال . اذا كان قد قتل اسحاق لأنه

يعتقد انه كان يهم بافشاء سر ما فمن الجائز تماما ان يترصدك ذات ليلة فى مكان مظلم ويلحق بك نفس المصير .

- طبعا .ولكننى سأكون حريصة جدا . هل تظن انه يجب ان احمل معى مسدسا ؟

- كلا طبعا .

- هل تخشى ان لا أعرف كيف استخدمه .

- ليس هذا . ولكن قد تزل قدمك وتقعين فتنطلق رصاصة وتقتلك .

- لن أفعل شيئا سخيفا كهذا على كل حال .

- بل انت قمينة بأن تفعلى هذا .

- يمكننى ان أحمل خنجرا اذن .

- لو كنت مكانك لما حملت أى شئ ، وانما اكتفى بأن امشى فى غباء وأنا أتحدث عن فلاحة البساتين ويمكن ان تتحدثى فتقولى اننا نشعر بخيبة أمل من البيت واننا نفكر فى الانتقال الى بيت آخر .

- ولمن يجب أن أقول هذا ؟

- لكل الناس ، وسوف يدور النبأ فى كل القرية على الفور .

وهل تقول نفس الشئ من ناحيتك ؟

- طبعا .. سأقول ان البيت لا يروق لنا كما كنا نعتقد .

- ولكنك مصمم على الرغم من ذلك على المضى قدما فى التحرى والاستقصاء .

- لن استطيع العودة الى الوراء أبدا .

- هل لديك فكرة عن الطريقة التى يجب ان نتبعها .

- سأستمر فيما بدأت فيه بكل بساطة . وأنت ؟ ... هل لديك خطة ؟

- كلا . ولكن لدى بعض الأفكار ... فى مقدور الفتى هنرى وصديقه مساعدتى فى مهمتى بكل تأكيد .

٩

كان تومى قد رحل الى لندن ، وأخذت توبنس تتجول فى البيت محاولة أن تهتدى الى عمل يكفل لها الوصول الى نتائج ملموسة ، ولكنها على الرغم من انها شحذت رأسها فانها لم تستطع الاهتداء الى شئ ما ، وصعدت الى السندرة وراحت تقلب فى الكتب فى شرود ... كانت الكتب كثيرة ولم تدر ماذا يمكنها ان تستخلص منها ، وكانت متأكدة من أنها سبق ان فحصتها ، وان الكسندر باركنسون لم يضمنها أية أسرار أخرى .

وظهر البيرت على عتبة الباب وقال :

– اقبل بعض الفتية وبرفقتهم فتاتان وهم يريدون مقابلتك يا سيدتى ... أظن انهم يجمعون بعض التبرعات .

ألم يذكروا أسماءهم ؟

– قال واحد منهم ان اسمه كلارنس ، ويقول انك تعرفينه .

تمتمت توبنس :

– كلارنس .

أتكون هذه الزيارة نتيجة حديثها مع هنرى بودليكوت بالأمس ؟

– هل الفتى الآخر موجود معهم يا البيرت ؟ ... ذلك الذى تحدثت معه بالأمس .

– لا أدرى يا سيدتى ، فكلهم متشابهون وكلهم قذرون .

– حسنا . سأهبط .

وعندما بلغت الطابق الأرضى تحولت الى ألبيرت متسائلة فقال :

– لم أسمح لهم بدخول البيت يا سيدتى . رأيت ان من الأسلم ان أدعهم ينتظرون فى الحديقة ، بجوار مزرعة الورد .

مضت مسز بيرسفورد الى حيث ينتظرها الأولاد وكانوا اثنى عشر فتى وبرفقتهم بنتان . وقال أحد الفتيان :

- ها هى قد أقبلت .. من الذى سيتكلم ؟ ... وانبرى أحدهم فقال :

- صباح الخير يا مسز بيرسفورد ... اسمى كلارنس وقد جئناك ببعض المعلومات .

- من أى نوع يا كلارنس ؟

وتدخلت احدى البنتين فقالت :

- معلومات تاريخية ... على جانب كبير من الأهمية ... هذا اذا كنت تهتمين بالماضى ... اذا كنت تريدين ان تعرفى حقا فعليك بالذهاب الى ن . م .م .

- وما هذا ؟

- نادى المحالين الى المعاش ... ألا تعرفينه ؟ ... انه نادى خاص يختلف اليه الطاعنون فى السن والمحالون الى المعاش ، حيث يتسامرون ويتبادلون الحديث ، ويدور كله حول الشائعات ، ويدعى بعضهم انهم يعرفون أشياء كثيرة عن الحرب .

- وأين هذا النادى ؟

- فى آخر القرية . فى منتصف الطريق الى موتون كروس . اذا كنت قد أحلت الى المعاش فان لك الحق فى الاختلاف اليه ... ويقدمون فيه أنواع الطعام والمشروبات بأثمان زهيدة . وكل الذين يختلفون اليه طاعنون فى السن ، بعضهم أصح والبعض الآخر فقد حاسة الابصار .

قالت توبنس :

- أود لو أن أزورهم .. متى نستطيع الذهاب ؟

- عندما تريدين ، ويسرنا ان نرافقك . ما رأيك فى الساعة الثالثة والنصف ؟

***

فرغت توبنس من طعام الغداء وهى تتساءل هل سيأتى الأولاد فى الساعة الثالثة والنصف كما وعدوها .

وأقبلت البعثة الصغيرة فى الميعاد المضروب فعلا ، فقد صلصل جرس الباب فى تمام الساعة المذكورة ، فنهضت توبنس ولبست معطفها الواقى من المطر وقلنسوة من البلاستيك لأن الجو كان ينذر بالمطر . وظهر البيرت عندئذ فقالت له :

– هل هناك مؤسسة تعرف باسم ن . م .م حقا ؟

– نعم يا سيدتى . وقد انشئت منذ سنتين كما قيل لى ، وتقع فى آخر القرية ، بعد الكنيسة بقليل . وهى مؤسسة عادية خاصة بالعجزة ، ويختلفون اليها لتبادل الحديث ولعب الورق ومشاهدة التليفزيون .

فتح البيرت الباب . وظهرت احدى الفتاتين ومعها كلارنس وصبى آخر يدعى برت. وقالت الفتاة :

– مساء الخير يا مسز بيرسفورد ... يسرنا ان نرافقك ، ولكن من الأفضل ان تأخذى مظلتك فقد تنبأ التليفزيون بسقوط المطر .

واستقبلتهم سيدة فى الستين من العمر مهيبة الطلعة قالت فى صوت جهير وهى تربت بيدها على كتف توبنس :

يسرنى ان أراك يا مسز بيرسفورد ،

ثم تحولت الى الفتاة وقالت لها :

– أشكرك يا جنيت . لا داعى للانتظار انت وزملائك ، الا اذا أردتم ذلك طبعا .

أجابت جانيت :

– أظن ان الأولاد سيشعرون بخيبة الأمل اذا اضطروا الى الانصراف فورا .

– حسنا . اذهبى الى المطبخ اذن وقولى لماجى ان تعد لنا الشاى .

ولم تكن توبنس قد جاءت لتناول الشاى ، ولكنها لم تستطع الاعراب عن رأيها هذا . وكان الشاى خفيفا ولكن الشطائر كانت شهية ، وبعد لحظات أقبل شيخ له لحية كبيرة وجلس بجوار توبنس وقال :

– أود ان أقول لك شيئا يا سيدتى ... أنا مدير هذه المؤسسة وقد نمى الى علمى أشياء كثيرة ... أكثر من أى شئ آخر عن ماضى القرية ... لقد وقعت هنا أحداث واحداث .

أسرعت توبنس تقول قبل ان ينتقل محدثها الى موضوع آخر غير ذى بال :

– الواقع اننى فهمت ان أشياء كثيرة وقعت هنا قبل الحرب وبعدها ، ولكن ذكرياتك لا يمكن أن تتجاوز حرب سنة ١٩١٤ طبعا ، ولا ريب انك سمعت بتلك الأحداث من أقارب أو أصدقاء أكبر منك سنا .

– طبعا سمعت أشياء كثيرة من العم لين ، وهو رجل مدهش . كان يعرف كل شئ ... كان يعرف مثلا كل ما كان يجرى قبل الحرب الأخيرة فى البيت المطل على الميناء . كان يقيم به أحد هؤلاء النازيين ، وكانت تدور به اجتماعات وتجتمع لجان ..

– وأثناء الحرب الأولى ... أعنى حرب ١٩١٤ ألم تكن هناك فتاة تدعى مارى جوردان ؟

– آه ، نعم . سمعت انها كانت جميلة ، وكانت تستخلص الأسرار الحربية من الضباط .

وارتفع صوت احدى السيدات الطاعنات فى السن بالغناء فجأة فصاح الرجل قائلا:

– اسكتى يا مودى ... ان السيدة لم تأت هنا لكى تسمعك تغنين وانما لكى تعرف ما كان يدور فى الماضى ... الأشياء المخبوءة وغيرها ...

قالت توبنس :

– ما أغرب هذا ... هل كانت أشياء مخبوءة ؟

– طبعا . كان هذا قبل حرب ستة ١٩١٤ ، ولكن لم يعرف أحد ماذا حدث تماما ولا لماذا اثيرت كل هذه الضجة .

وقالت احدى السيدات :

– كان ذلك بصدد سباق بالتجديف بين جامعتى أوكسفورد وكامبريدج . وقد شهدت ذلك كان يوما عظيما ... وقد كسبت اوكسفورد .

وقالت سيدة أخرى :

– كل هذا هراء . انك لا تعرفين شيئا ما ، أما أنا فأعرف خيرا من الجميع ، على الرغم من ان كل تلك الأحداث قد وقعت وأنا ما أزال طفلة ، ولكن جدتى حدثتنى عنها فيما بعد . كان ذلك بسبب ذهب جاءوا به من استراليا ، وقد اخفوه فى مكان مجهول وأقبل رجال الحكومة وبحثوا عنه فى كل مكان ولكنهم لم يجدوه طبعا .

وقالت احدى السيدات : – ليس هذا غريبا لأنهم كانوا لا يعرفون عن أى شئ يبحثون . هناك دائما أدلة وآثار فى كل المسائل ولكن يجب ان يعرف المرء أين يبحث عنها .

قالت تونس :– هذا مثير ... وأين توجد هذه الأدلة والآثار ؟ فى القرية أو ...

وفتح السؤال آفاقا جديدة وتتابعت الردود فقد قال بعضهم :–

" فى الأرض البور ، بعد توير وست " .

وقال البعض الآخر : – أبدا ، وانما على مقربة من ليتل كين .

– كلا . بل فى الكهف الذى يشرف على البحر فى بادى هيد ، هناك حيث تقع الصخور الحمراء ، كان هناك نفق قديم حفره المهربون والناس يؤكدون انه لا يزال موجودا. – أما أنا فقد سمعتهم يتحدثون عن سفينة أسبانية محملة بالدنانير الذهبية ... كان ذلك فى عهد الأرمادا

***

١٠

قال تومى عندما عاد فى ذلك المساء :

- أراك متعبة فماذا فعلت ؟

- صحيح اننى متعبة .

- هل كنت تفتشين فى الكتب القديمة ؟

- كلا ، فقد سئمتها كلها

- ماذا كنت تفعلين اذن ؟

- هل تعرف ما هو ال ن .م . م .؟

- كلا .

- سأذكر لك ذلك بعد دقيقة . ولكن ألا تريد أن أقدم لك شيئا أولا ... سأتناول أنا الأخرى كأسا .

واعدت كأسين من الكوكتيل ثم أطلعت زوجها على ما فعلته بعد ظهر اليوم . وسألها تومى فى اهتمام :

- وهل علمت شيئا هاما ؟

- الواقع اننى لا أدرى ، فعندما يتكلم ستة أشخاص فى وقت واحد ويروون قصصا مختلفة : وغالبا ما تكون قصصا متناقضة ، فان من الصعب أن تفهم ما يقولون ، ومهما يكن فاننى اعتقد اننى كونت لنفسى بضعة أفكار .

- وما هى ؟

- هناك اسطورة تدور حول بعض الأحداث التى سبقت سنة ١٩١٤ ، ويقال ان هناك شيئا مخبوءة فى القرية .

- كنا نشك فى تلك قبل اليوم .

– نعم . ولكن مازالت بعض القصص القديمة تدور فى القرية وتنتقل من فم الى اذن ويمكن ان يحتوى بعضها على جزء من الحقيقة ... غير ان الأمر يبدو كما لو كنا نبحث عن أبرة فى كوم من التبن .

– وماذا ستفعلين اذن للوصول الى نتيجة ؟

– سأبدأ بزيارة بعض الأشخاص الذين يستطيعون ان يخبرونى بما سمعوا حقا ، كل منهم على حدة . ثم أحلل ما أجمعه من معلومات ، ولعلنى أجد بينها دليلا له قيمته هناك بالضرورة شئ يجب أن نهتدى اليه .

– اننى لا أجادلك فى هذا ، ولكننا لا نعرف لسوء الحظ عم نبحث . والمفروض انه قبل ان نبدأ فى التحرى عن أية قضية يجب أن نعرف فيم تدور .

– طبعا . ولا أظن أن قضيتنا هذه تدور حول السبائك الذهبية أو الدنانير الأرمادا الأسبانية ، ولا أظن كذلك انهم أخفوا شيئا فى كهف المهربين .

قال تومى وهو يتلحظ :

– ومن يدرينا ... قد نجد فيها براميل من الكونياك الفرنسى المعتق .

– لا شئ مستحيل . ولكن لن يكون ذلك ما نبحث عنه على كل حال ، أليس كذلك ؟

– لو صح هذا فاننى أكون سعيدا طبعا . ولكن قد تكون هناك أيضا مستندات أو خطابات حب استخدمت فى الابتزاز والتهديد ... ولن يكون لها أية فائدة فى الوقت الحالى للأسف .

– طبعا . واننى اتساءل هل ترانا نصل الى الغاية أبدا ؟

– ومع ذلك فقد حصلت أنا على بعض المعلومات اليوم .

– عن أى شئ .

– عن احصاء ... يبدى انه أجرى تعداد ... لا أتذكر السنة تماما ولكننى دونت

ذلك فى مذكراتى ... وكان هناك فى ذلك اليوم أشخاص كثيرون يقيمون عند آل باركنسون .

– كيف عرفت ذلك ؟

– اكتشفت مس كولدن ذلك أثناء البحث الذى كلفتها به .

– هل تدرى اننى بدأت أغار منها .

– لا داعى لقلك حقا لأنها ليست على أى جانب من الجمال .

– اننى أفضل هذا . ولكن ما دخل الاحصاء فى قضيتنا هذه .

– عندما كتب الكسندر " واحد منا هو الذى قتلها " . ربما كان يعنى شخصا يقيم لديهم بصفة مؤقته وربما اضطر ذلك الشخص ان يدون اسمه فى سجل الاحصاء ... شخص ربما قضى الليلة تحت سقف آل باركنسون . يجب أن نبحث عن كل هذا فى الأرشيف ... انه احتمال على كل حال .

– لنفرض ذلك . ولكننى أحب أن أتناول طعامى فى الوقت الحاضر .

وكان العشاء الذى قدمه البيرت شهيا طيبا ، وبعد أن احتست توبنس فنجانين من القهوة قالت :

– اشعر بأننى أحسن الآن ... لننظر أين وصلنا .. هل لك ان تعطينى حقيبتى من فضلك ، هذا اذا لم أكن نسيتها فى غرفة الطعام .

– كلا ... انها بجوار مقعدك .

انحنت توبنس وتناولت الشنطة وقالت :

– انك قدمت لى هدية جميلة حقا ... جلد تمساح حقيقى . ولكن يتعذر على أحيانا أن أضع فيها بعض الأشياء .

– بل يتعذر اخراجها كذلك .

– الأمر كذلك دائما مع الحقائب الثمينة . أما الحقائب العملية فهى المصنوعة من

السلال لأنه يمكن فتحها من جميع النواحي . أه ... أظن أمسكت به .

- ماذا ؟

- دفتر صغير أدون فيه فى بعض الأحيان كشفا بالملابس التى تحتاج الى التنظيف وأكياس المخدات الممزقة وأشياء أخرى من نفس النوع . ولكن كان لا يزال به أربع أو خمس صفحات لم تستخدم بعد وخطر لى اننى أستطيع أن استخدمها فسجلت فيها ما سمعته اليوم على الرغم من أن هناك نقاطا كثيرة بدت لى عديمة الجدوى . ولكن كنت قد دونت به قائمة الاحصاء عندما سمعت به لأول مرة وانا لا أدرى بماذا تفيدنا هذه القائمة . وسجلت كذلك اسم مسز هندرسون واسم امرأة أخرى تدعى دوروثى حدثتنى عنها مسز جريفين . وهناك أخيرا أوكسفورد وكامبريدج ، وفوق ذلك فقد اكتشفت شيئا آخر فى تلك الكتب القديمة .

ردد تومى فى لهجة حالمة :

- اكسفورد وكامبريدج ... أتكون قصة طلبة ؟

- لا أظن ذلك . اننى واثقة ان الأمر انما كان يتعلق برهان يدور حول سباق زوارق .

- اذا صح ذلك، فلا يمكن ان تفيدنا هذه المعلومة فى شئ .

- من يدرى ؟ هناك اذن مسز هندرسون وشخص آخر كان يعيش فى"فيللا التفاح " وأخيرا هذه الكلمات المكتوبة فى قصاصة قديمة من الورق ... تلك التى وجدنا فى كتاب " شبح التاج " .

- هو كتاب عن الثورة الفرنسية وقد قرأته وأنا حدث صغير ... ولكن ما هى هذه الكلمات ؟

- انما هى مقاطع لا معنى لها مكتوبة بقلم الرصاص ... جرين ... هن ... لو ...

- جرين ... هن ... لو ... ليس لها معنى حقا ... أوه ، ان لدى فكرة طبعا ..

- وما هى ؟

- سباق الزوارق الذى جرى بين جامعتى أوكسفورد وكامبريدج .
- ولماذا حملتك هذه المقاطع الى التفكير فى ذلك السباق .
- ذلك لأننا قرأناها بالمقلوب .
- تعنى انه يجب ان نقرأها هكذا :
- نيرج ... ولكن ليس لها أى معنى بهذه الصورة كذلك .
- لم أكن أعنى هذا ... وانما اجمعى المقاطع الثلاث واقرئيها ابتداء من المقطع الأخير ... وسوف تعطينا كلمة واحدة هى : لو هنجرين .

ومشى تومى فى حين صاحت زوجته تقول :

- آه ... فهمت ... لوهنجرين ..
- أوبرا فاجنر ... أى اليجعة .
- ولكن ما علاقة قصتنا هذه بأية بجعة .
- بل هناك علاقة بالتأكيد . هاتان التحفتان الصينيتان اللتان وجدناهما فى المستنبت ... الكرسيان ... هل تتذكر ؟ ... أحدهما أزرق غامق والآخر أزرق فاتح ،

وأظن ان اسحاق هو الذى أشار اليها قائلا :

- هذان هما أوكسفورد وكامبريدج .
- وقد كسرت انت أوكسفورد اذا لم أخطئ .
- نعم . ولكن كامبريدج لا يزال موجودا ... الأزرق الفاتح ... ألا تفهم الآن ؟ .. لو هنجرين ... هنا شئ مخبوء فى أحد هذين الكرسيين المرسوم على كل منهما بجعة .

أو لا شئ سأفعله الآن يا تومى هو انى سأذهب لأفحص ذلك الكرسى .

- ماذا ؟ ... نحن الآن فى الساعة الحادية عشرة مساء ... كلا بالطبع .
- سنذهب غدا اذن .
- هناك فتى يريد ان يراك يا سيدتى .

- أوه .. اتعنى ذلك الأشقر ؟

- كلا ، وانما الآخر . ذلك الذى يحمل اسما غريبا ... كلارنس على ما أظن . يقول ان فى مقدوره مساعدتك ، وانني اتساءل فى أى شئ .

كان كلارنس جالسا فى الفراندة ، فوق مقعد قديم وفى يده اليسرى قالب من الشيكولاته وكيس من البطاطس المحمرة فى يده اليمنى .

قال :

- صباح الخير يا سيدتى . جئت أعرض عليك مساعدتى فى أى عمل تريدين .

- يا الهى ! ... اننا بحاجة الى من يعنى بالحديقة ... أظن أنك كنت تأتى أحيانا مع اسحاق أليس كذلك .

- فى بعض الأحيان ، ولكننى لست قديرا فى أعمال الفلاحة . ومهما يكن فان اسحاق لم يكن يعرف الكثير هو الآخر . ولكننا كنا نتبادل الحديث وكان يروى لى أشياء عجيبة . كان يقول انه أول يستانى التحق بالعمل عند مستر بولينجر الذى كان يقيم بجوار النهر ، فى ذلك البيت الذى تحول الآن الى مدرسة . ولكن جدتى تؤكد ان كل ما كان يرويه ان هو الا أكاذيب .

- هذا لا يهم . اننى أريد اليوم ان أخرج بعض الأشياء من المستنبت .

- هل تعنين كاى كاى ؟

- نعم . غريب انك تعرف هذا الاسم .

- هكذا كان اسحاق يدعوه . يقال انها كلمة يابانية ولكنها لعلها ليست كذلك على الاطلاق .

مضت توبنس وتومى الى المستنبت برفقة الفتى البيرت الذى أجل غسيل الأطباق الى ما بعد لعله يجد عملا أكثر أثارة . وبعد ان راح هانيبال يجرى هنا وهناك متشمما أسرع هو الآخر خلفهم . وقالت توبنس :

- هل تخف لنجدتنا انت أيضا يا هانيبال ؟

قال كلارنس :

- من أية فصيلة هو ؟ ... قيل لى أنه لكلب صيد ، فهل هذا صحيح ؟

أجاب تومى :

- نعم . انه كلب صيد من مانشستر .

سأله كلارنس :

- هل يعض ؟

قالت توبنس :

- انه كلب حراسة ممتاز ، ويحافظ على جيدا .

- يقول ساعى البريد انه كاد يعضه منذ ثلاثة أو أربعة أيام .

- هذا جائز . كقاعدة عامة لا تحب الكلاب ساعاة البريد كثيرا . هل تعرف أين يوجد مفتاح المستنيت يا كلارنس ؟

- انه معلق خلف لوحة فى الحظيرة ... سأذهب لآتى به .

ومضى الفتى ركضا وعاد بعد قليل ومعه المفتاح .

وكان الكرسى الصينى المرسوم عليه صورة البجعة فى مكانه . وكان اسحاق قد غسله ونظفه لكى يضعه فى الفراندة . وقال كلارنس :

- يجب ان يكون هناك كرسى آخر ... كان اسحاق يدعوهما أوكسفورد و كامبريدج ... أوه ... ولكن أوكسفورد مكسر .

- نعم .

- وما الذى حدث لماتيلد ؟ ان حولها كومة من الركام .

قالت توبنس

- اننا أجرينا لها عملية جراحية .

ضحك كلارنس فى حين تأملت العجوز الكرسى السليم ثم قالت :

- لا أظن أن هناك أية وسيلة لكى نحصل على ما قد يكون بداخله ؟ يجب أن نكسره هو الآخر . ما أغرب هذا الثقب الذى فى وسط قاعدته ! .. يبدو كأنه صندوق للبريد .

قال الفتى :

- ولكن يمكن ان نفكه .

قالت توبنس :

- نفكه ؟ .. من قال لك هذا ؟

- ذكر لى اسحاق ذلك مرة . سيكون الأمر صعبا شيئا ما . ولكن اذا وضعنا نقطة من الزيت فسوف يكون الأمر سهلا .

مضى كلارنس وجاء بزجاجة من الزيت من فوق رف بالحظيرة ثم أخذ الكرسى وظل يعالجه لحظة ولم تلبث القاعدة ان دارت بين يديه . وفكها البيرت نهائيا وفصلها عن الكرسى وقال كلارنس :

- انه مملوء بشتى القذارات .

ومد يده وأفرغه مما به وصاح بعد لحظة :

- آه ... اننى جرحت . هناك شئ معلق فى مسمار ... آه ... ها هو .

وأخرج يده وبها ربطة ملفوفة فى قطعة من القماش وأسرع هانيبال لكى يرى بدوره، ولكنه لم يلبث أن ارتد نحو الباب ينبح بصورة غريبة . وقالت توبنس لزوجها :

- أذهب وتحقق من انه ليس بالخارج أحد . قالت لى مسز هيرنج منذ أيام انها تعرف بستانيا قد يقبل أن يعمل لدينا ... ربما يكون هو الذى أقبل .

فتح تومى الباب وخرج ، واندفع هانيبال خلفه . وقال تومى بعد لحظة : - لا يوجد أحد .

ولكن الكلب أطلق زمجرة صماء ، وأخذ ينبح فى قوة فقال :

– انه يظن أن هناك أحدا فى الدغل .

والواقع أن هانيبال مضى نحو الدغل الكثيف وهو ينبح ويدير رأسه الى الخلف نحو سيده كما لو كان يطلب منه أن يرافقه . وقال تومى يخاطب زوجته وهما واقفان على عتبة المستنبت :

– أظن أن هناك قطة مختبئة هناك ، ولا ريب أنها تلك القطة السوداء التى تأتى وتحوم هنا أحيانا مع وليدها .

قالت توبنس :– انها تتسلل الى كل مكان ... أوه . كفى يا هانيبال وتعال .

ولكن هانيبال لم يزد عن أن أدار رأسه لحظة فى غضب ورفع عينيه نحو سيدته ، ثم ارتد بضع خطوات غير انه لم يلبث أن حول اهتمامه نحو الدغل وراح ينبح من جديد . وقال تومى :

– هناك شئ يثير قلقه بكل تأكيد . تعال هنا يا هانيبال .

هز الكلب رأسه ، ونظر الى سيديه مرة أخرى ثم اندفع داخل الدغل وهو ينبح فى غضب شديد .

وفجأة دوت طلقة . وصاحت توبنس :– يا الهى ! .. ان بعضهم يصطاد الارانب بدون شك .

– عودى الى الداخل فورا ..

وفى نفس اللحظة دوت طلقة أخرى وصفرت رصاصة بجوار اذن تومى ، ولف هانيبال بالدغل ثم اندفع بكل قواه . وقال تومى :

– أنه يطارد شخصا .. ولكن ، أنك جريح .

– أظن اننى أصبت فى كتفى .. ما معنى هذا ؟

– كان هناك شخص يختبئ فى الدغل .. ويراقب ما كنا نفعل و ...

قال كلارنس :- هؤلاء الايرلنديون مرة أخرى .. أرادوا أن يقتلونا قبل ذلك .

قالت توبنس :- كلا ، لا أظن أن لهذه المسألة أية صلة بالسياسة .

وكانا قد بلغا باب الحديقة وعبراه عندما ظهر هانيبال وهو يلهث . وأسرع نحو تومى وأمسكه من ملابسه وحاول أن يجره الى المكان الذى أقبل منه .

قال تومى :- انه يريد أن أتبعه .

صاحت توبنس :- اياك أن تفعل .. لعل هناك شخصا معه مسدس أو بندقية فيقتلك .. ومن يعنى بى اذا حدث هذا .. هلم بنا الى البيت .

وعاد الى البيت . وأسرع تومى الى التليفون فسألته :- ماذا تفعل ؟

- سأتصل بالبوليس طبعا .. لا يجب أن تسكت على شئ كهذا .

وجاء البيرت فى هذه اللحظة ومعه حقيبة بها الاسعافات الأولية .

وقال تومى :- ألا تظنين أنه يجب أن أذهب بك الى المستشفى ؟

- كلا .. ضمادة بسيطة تكفى .. ان هو الا جرح تافه .. والحمد لله . ولكن يجب أن نطهره أولا .

قال البيرت :- ان معى صبغة يود يا سيدتى .

- كلا . لا أريد صبغة يود . فهى تؤلم كثيرا .. ثم انهم يقولون الان فى المستشفيات انه لا يحسن استخدامها . ولكن قل لى ماذا فعلت بتلك الرابطة التى اخرجناها من الكرسى .. لعلها اكتشاف هام . لا ننسى أنهم حاولوا قتلنا ولابد أن لهذه المحاولة معناها .

***

١١

كان توماس جالسا فى مكتبه أمام المفتش نوريس وقال هذا الأخير :

- أرجو أن تساعدنا الظروف فنصل الى نتائج مرضية يا مستر بيرسفورد . فهمت ان الدكتور كروسفيلد يعالج روجتك الان

- نعم ان الجرح ليس خطيرا لحسن الحظ ، على الرغم من أنه نزف كثيرا ، ولا يشعر الطبيب بأى قلق

- أظن أن مسز بيرسفورد ليست شابة .

- انها بلغت السبعين من العمر .

- هل تعرف اننى سمعت عنها كثيرا منذ أن أقمنا فى المنطقة ، وعنك أنت أيضا.

- حقا ؟

- سواء كان المرء مجرما أو بطلا فإن من العسير أن ينسى الناس ماضيه ، وعلى كل حال فاننى أستطيع أن أؤكد لك يا مستر بيرسفورد أننا سنبذل كل ما فى وسعنا لجلاء هذه المسألة . أظن أنك لا تستطيع أن تقدم لى أوصاف الشخص الذى اعتدى عليكما..

- كلا ، بكل أسف ، عندما لمحته كان على مسافة كبيرة ، وكان يجرى بكل قوة وكلبى خلفه . وكل ما أستطيع قوله هو أنه لا يبدو مسنا لأنه كان يجرى بكل خفة .

- ألم تأتك أية مكالمات تليفونية أو أية رسائل تطالبك بنقود أو بمغادرة البلد .

- كلا . لم يأتنى شئ من هذا .

- أظن أنك تنتقل الى لندن كل يوم تقريبا .

- هذا صحيح .. واذا اردت تفاصيل ..

- أبدا .. ولكننى سأسمح لنفسى فقط أن اقترح عليك أن لا تتغيب طويلا طالما لم

تنكشف أسرار هذه القضية لكى تحرص بنفسك على سلامة مسز بيرسفورد .

- كنت أنوى هذا طبعا .

- وسنبذل كل ما فى وسعنا من ناحيتنا لكى نلقى القبض على ذلك المعتدى .

- هل تظن أنك تعرف شخصيته أو الدافع الذى دفعه الى ذلك ؟ .. ولكن ربما لم يكن يجب أن ألقى هذا السؤال .

- اننا نعرف الكثير عن بعض شباب المنطقة .. أكثر مما يعتقدون بكثير طبعا ، ولكننا لا نباهى بمعرفتنا لأن الكتمان هو خير وسيلة للقبض عليهم ، وعندما يتم لنا ذلك نعرف اذا كانوا قد تصرفوا من تلقاء أنفسهم أو اذا كان قد حرضهم أحد على ذلك..

وفى الحالة التى تهمنا الان فانا مقتنع بأن الجانى ليس من شباب المنطقة .

ومن أين لك هذه الفكرة ؟

- لا يسعنا الا أن نسمع بعض الشائعات ، ثم ان لدينا مصادر كثيرة للمعلومات.

- ولزم الرجلان الصمت لحظة ثم قال المفتش : - اذا سمحت لى ..

- أرجوك .

- سمعت أنك تبحث عن شخص يعنى بحديقتك .

- نعم .. منذ أن قتل اسحاق العجوز .

- مسكين اسحاق . كان يروى أحيانا قصصا غريبة ولكنه ؟ كان رجلا شهما كان يمكن الاعتماد عليه .

- لا أستطيع أن أفهم لماذا قتلوه حقا .. لا أحد يدرى ولن يكتشف أحد شيئا .

- هل تعنى اننا لم نكتشف شيئا . ولكن هذا النوع من التحرى يتطلب وقتا ما . عندما انتهى التحقيق الى أن الموت وقع عمدا وان القاتل مجهول لم يكن معنى ذلك أن القضية قد انتهت وانما هى البداية . ولكننى كنت أعنى شيئا آخر وهو أن رجلا سيأتيك

من غير شك ويسألك ان كنت تريد بستانيا . سيقول لك هذا عمل لمدة سنوات عند مستر سولومون .. هل تتذكر هذا الاسم ؟

- طبعا .

- ومستر سولومون هذا فارق الحياة ، ولكنه قضى حياته هنا ، واستخدم بستانيين كثيرين فعلا ، ولا أعرف تماما بأى اسم سيتقدم اليك ذلك الرجل ، ولكن كل ما أستطيع قوله هو انه سيكون بين الثلاثين والخمسين من العمر ، سيشير الى مستر سومولون على انه من بين مؤهلاته ، وأنصحك أن تلحقه بخدمتك . أما نحن فسنستمر فى تحرياتنا ، ليس هنا فقط وانما فى كل ناحية وحتى فى لندن اذا اقتضى الأمر .

- ليتنى أستطيع اقصاء زوجتى عن كل هذا ... ولكن ليس ذلك يسيرا .

أجابه نوريس وهو يبتسم :- ان النساء شديدة المراس دائما .

وبعد بضع لحظات كان تومى مجتمعا بزوجته وقال : - يعتقد رجال البوليس ان الجانى ليس من أهالى القرية .

- وماذا قال المفتش غير ذلك ؟

- قال ان النساء شديدات المراس .

- حقا ! ... وهل كان يدرى انك سترد لى قوله هذا ؟

أجاب تومى وهو ينهض :- طبعا . يجب أن أتصل بلندن تليفونيا لأننى لن أذهب يومين أو ثلاثة .

- بل يمكنك أن تذهب ، فأنا فى أمان تام هنا مع البيرت وهانيبال .

رفع تومى السماعة وادار رقما وقال :- الكولونيل بيكواى ؟ .. أنا بيرسفورد .

- آه .. صباح الخير يا عزيزى .

- أردت أن أقول لك ..

- عن الحادث الذى وقع لزوجتك .. أننى عرفت به ، وأرجو أن تشفى قريبا .

لا داعى لأن تتكلم فى ذلك الأمر فى التليفون . ولكن أخبرنى بما قد يقع على كل حال.

- فى استطاعتى أن آتيك ببعض المستندات .

- اختفظ بها معك فى الوقت الحالى ، وابحث عن مكان أمين لاخفائها فيه الى أن يجد جديد . علمت أن هانيبال طارد الرجل الذى أطلق الرصاص عليكما .

- يبدو لى انك تعرف الكثير .

- اننا هنا على علم دائما بكل ما يدور .

- ولكننى واثق انك لا تعلم ان هانيبال عاد وبين أسنانه قطعة من بنطلون الرجل الذى اعتدى علينا .

***

١٢

بدأ الكولونيل بيكواى حديثه وهو يدخن غليونه فقال :

- أرجو أن تلتمس لى العذر أيها العزيز لأننى أرغمتك على المجئ هنا .. خطر لى أنه يجب أن أتبادل حديثا معك .

- الواقع أنه وقعت لنا فى هولوكاى بعض الأحداث غير المتوقعة .

- ونجت زوجتك من الموت .

- كان يمكن أن يكون الأمر أشد خطورة على كل حال . أظن انك على علم بالجزء الأكبر من المسألة ؟

- يمكنك مع ذلك أن تقدم لى موجزا عنها ، فهناك نقطة لا أعرفها جيدا على وجه الخصوص ، وهى تلك التى تتعلق بلوهنجرين . الحق أن زوجتك ذكية جدا .. جرين .. هن .. لو . كانت مقاطع سخيفة لا معنى لها .. ومع ذلك .

- اننى أحضرت لك ما عثرنا عليه لأننى لم أجرؤ على ارساله بالبريد .

- حسنا فعلت.

- كانت الربطة موجودة فى تلك الكرسى الصينى المرسوم عليه صورة البجعة ، وهى تضم رسائل أكثرها فى حالة غير جيدة على الرغم من القماش الذى يحميها . ولكننى أظن أن المعمل ..

- لا تزعج نفسك بهذا الخصوص .

- ها هى . وقد دونت كشفا بالمعلومات التى جمعتها أنا وزوجتى ، وهى معلومات نقل بعضها الينا وسمعنا البعض الآخر منها شخصيا .

- نعم .. نعم .. ان فيها نقاطا هامة كثيرة .

- وعلى أثر الاعتداء الذى تعرضنا له اتصلت برجال البوليس . والمفتش نوريس هو

الذى يقوم بالتحقيق . لاريب أنه ضابط جديد لأننى لم يسبق لى أن رأيته من قبل..

أطلق الكولونيل سحابة من الدخان وقال :- فى مهمة خاصة .

- أظن أنك تعرفه .

- الواقع انه هو المكلف بالتحقيق فى هذه المسألة ولكن ألا تظن يا مستر بيرسفورد ان من الحكمة ان تبتعد أنت وزوجتك عن القرية بعض الوقت ؟

- أخشى اننى لا أستطيع ذلك يا سيدى .

- هل تعنى أن زوجتك سترفض مغادرة هولوكاى ؟

- لن يكون من السهل اقناعها بذلك . أن جرحها ليس خطيرا ثم انها ليست مريضة . وقد أدركت أنها وقعت الان على صيد ثمين . وفى مثل هذه الظروف .

- حسنا .. استمر فى بحثكما ولكن فى تكتم شديد .. هذا كل ما يمكن أن أنصحكما به .

وربت الكولونيل بيده على الربطة التى تضم الرسائل وقال : - سنعرف من هذه ما أردنا معرفته دائما .. سنعرف من الذى كان متورطا فى تلك القضية ومن الذى كان يقوم بالعمل القذر فى الكواليس .

- ولكن ..

- انتى أفهم اعتراضك . ستقول لى ان مارى جوردان ماتت منذ وقت طويل ، وهذا صحيح ، ولكننا مع ذلك سنعرف ما كان يدور فى ذلك الوقت ، وكيف كانت تجهل الأمور ومن الذى كان يحرك الخيوط ، وربما نعرف كذلك من الذى يقوم بنفس العمل حتى الآن . هناك أشخاص يبدو أنه لا أهمية لهم فى حين انهم على جانب كبير .. من الأهمية فى الواقع ... أشخاص اتصلوا بنفس .. الجماعة .. جماعة يمكن أن تضم فى أيامنا هذه عناصر جديدة وتنهج نفس المنهج .. حب العنف والتدمير .. لا يمكن أن نقول شيئا ضد بعض هذه الجماعات ولكن البعض الآخر شؤم لانها تضم جماعات وعصابات

معينة .. وهذا النوع من التكتيك تعلمناه فى الخمسين أو الستين سنة التى مضت ، وعرفنا أنه اذا اجتمع أشخاص معينون فأنهم يستطيعون انجاز أغرب الأشياء ان خيرا وان شرا .

- هل أستطيع أن ألقى سؤالا ؟

أجاب بيكواى :- تستطيع أن تسأل دائما . سبق ان قلت لك أننا نعرف كل شئ . ولكننا لا نذيع كل ما نعرفه بالضرورة . يجب أن تعرف ذلك .

- هل يعنى اسم سولومون شيئا لك ؟

- آه .. مستر سولومون .. أين سمعت بهذا الاسم ؟

- ذكره لى المفتش نوريس .

- فهمت .. حسنا . يمكنك أن تتبع تعليماته . انك لن ترى سولومون طبعا لأنه مات ولكننا ما زلنا نستخدم اسمه . ان استخدام الاسم الحقيقى لشخص غير موجود مازال العالم يقدره يفيد أحيانا . أنك أنتقلت للاقامة فى ؛ بيت الغار " . صدفة واتفاقا ولكننا كنا نرجو أن نستفيد من ذلك . غير اننا لا نريد ان يتسبب ذلك فى وقوع كارثة لك أو لزوجتك ، فعليك اذن بمراقبة الجميع . خذ حذرك . هذه هى أفضل سياسة فى هذه المناسبة .

- فيما عدا زوجتى فاننى لا أثق فى أى أحد الا فى اثنين بالذات :- أولهما البيرت ، وهو فى خدمتنا منذ سنوات .

- والثانى ؟

- هانيبال .

***

١٣

كانت توبنس تتمشى فى الحديقة عندما لحق البيرت بها وخاطبها قائلا :

- هناك سيدة تريد أن تراك يا سيدتى .

- ومن هى ؟

- تقول ان اسمها مس مولينز ، وانها جاءت بتوصية من شخص فى القرية .

- من أجل الحديقة طبعا ؟

- انها تكلمت عن الحديقة فعلا يا سيدتى .

ابتعد الخادم ودار بالبيت ولم يلبث أن عاد تتبعه امرأة طويلة القامة لها هيئة رجال الريف ، ترتدى بلوفر من الصوف وبنطلونا من التويد ، وقالت فى صوت خفيض :

- صباح الخير يا مسز بيرسفورد . ان الجو بارد اليوم ، أليس كذلك ؟ اسمى ايريس مولينز وقد نصحتنى مسز جريفين بالمجئ لزيارتك قائلة انك تبحثين عن شخص لكى يعنى بحديقتك .

بسطت توبنس يدها للزائرة وقالت :- يسرنى أن أتعرف بك يا مس مولينز . اننا نبحث فعلا عن شخص يحل محل اسحاق المسكين .

- أظن أنك لم تنتقلى الى هذا البيت منذ وقت طويل ؟

- يا الهى ! .. أشعر فى بعض الأحيان أنه قد مر علينا دهر مع كل هؤلاء الذين تخلصنا منهم أخيرا .

ضحكت مس مولينز ضحكة قصيرة وقالت :- أعرف ما يعانيه المرء حين يضطر للاستعانة بالعمل هذه الأيام . ولكنك أحسنت التصرف بانتقالك الى البيت قبل أن يبدأ العمل ، لأنه لا يتم شئ كما يجب أبدا طالما أن أصحاب البيت غير موجودين لموالاة كل شئ . وحتى فى هذه الحالة يضطر المرء الى اللجوء الى العمال ثانية لانهاء

عمل أو لاجراء تعديل فى بعض التركيبات التى انجزوها . ان لديك هنا حديقة جميلة حقا .. ولكن يد الاهمال امتدت اليها .. أليس كذلك ؟

– نعم . لدى احساس بأن الملاك السابقين لم يكونوا دائمى العناية بها . ثم ان البيت نفسه كان شاغرا منذ مدة كبيرة قبل أن نشتريه .

– يبدو أن آل جونز هم الذين كانوا يشغلونه من قبل ولكننى لم أكن أعرفهم شخصيا .. اننى أقضى أكبر جزء من وقتى فى الناحية الأخرى من القرية .. ناحية الأرض البور .. فهناك بيتان أعمل فيهما بصفة منتظمة .. يومان كل اسبوع يوم فى بيت وآخر فى البيت الثانى . ولكن اذا أردت الحق فان يوما واحدا لا يكفى للعناية بأية حديقة عناية كافية . كنت أعرف اسحاق الذى اشتغل عندك منذ اقامتك هنا . وهو رجل شهم ، وانه لأمر محزن أن يقتله أحد هؤلاء الأوغاد الذين يحبون العنف ، والذين لا يفكرون الا فى قتل الناس الشرفاء . انهم لم يكتشفوا الجانى طبعا . ان هؤلاء الأشرار يعيشون فى جماعات صغيرة عادة وكلما كان عددهم قليلا كلما كانوا أسوأ . أوه .. ان لديك زهورا جميلة يحسدك عليها الكثيرون .

– اننا انما نهتم فى الوقت الحالى بالخضروات .

– أنت على حق ، فان أغلب الناس يفتقرون الى حسن الادراك ويحسبون أن من الأفضل شراء الخضروات بدلا من أن يزرعوها بأنفسهم .

– طالما تمنيت أن أزرع بطاطس وبسلة وفاصوليا خضراء .

– يحسن أن تزرعى الفاصوليا المتسلقة فان البستانيين فخورون بها ويتركونها تنمو حتى تبلغ نحو قدم ونصف يفوزون بجوائز فى المعرض عادة .

ظهر البيرت فجأة قال :– مسز رادكيلف تطلبك فى التليفون يا سيدتى . تريد أن تعرف اذا كنت تستطيعين تناول العشاء معها غدا .

– أرجو أن تعتذر لها نيابة عنى يا البيرت .. فمن الجائز أن نضطر للذهاب الى

لندن . أوه .. انتظر لحظة حتى أكتب لك كلمة .

أخرجت مسز بيرسفورد دفترا من حقيبتها انتزعت منه ورقة كتبت فيها بضع كلمات ثم ناولتها لألبيرت قائلة :

- قل لمستر بيرسفورد اننى فى الحديقة مع مس مولينز واعطه هذا العنوان فقد نسيت أن أعطيه اياه .

أختفى البيرت . وتحولت توبنس الى زائرتها وقالت :- اذا كنت تشتغلين فى الاسبوع ثلاثة أيام فقط فلابد ان هناك ما يشغلك ؟

- نعم . ثم اننى أقيم فى الناحية الأخرى من القرية كما قلت لك منذ قليل .

أقبل تومى فى هذه اللحظة وبرفقته هانيبال . ووقف الحيوان الصغير لحظة بجوار توبنس مباعدا ما بين قائمتيه الأماميتين ثم هجم فجأة على مس مولينز وهو ينبح بشدة . وارتدت العانس الى الخلف فى حذر .

وقالت مسز بيرسفورد :

- لا تخافى . انه لا يعض . لا يعض الا فيما ندر على الأقل .. ومع ذلك فهو كلب حراسة ممتاز لا يدع أحدا يدخل البيت ويحافظ على بوجه خاص .

- ان كلاب الحراسة الممتازة نادرة فى هذه الأيام .

- نعم . تقع سرقات كثيرة فى كل مكان تقريبا .. أصدقاء كثيرون لنا زارهم اللصوص . وبعض هؤلاء اللصوص يزاولون نشاطهم فى وضح النهار متظاهرين بأنهم من العمال .. وليس من الضرر أن يكون لديك كلب حراسة .

- انك على حق .

- اسمحى لى أن أقدم لك زوجى .. مس موليتز .. قالت لها مسز جريفين اننا بحاجة الى من يعنى بالحديقة .

- أليس هذا العمل شاقا عليك يا مس مولينز ؟

- أوه ، كلا . انني أستطيع حراثة الأرض كأى رجل .. انها مسألة عادة وكل ما فى الأمر أنه لابد من خبرة .

وطوال هذا الحديث كان هانبيال ينبح . وقالت توبنس :

- أظن أن من الأوفق أن تعود به الى البيت يا تومى .. فهو يبدو شديد العداء هذا الصباح ..

- حسنا .

- ألا تأتين وتتناولين شيئا يا مس مولينز . ان الجو حار اليوم وأظن ان من الأوفق أن تتناولى شيئا .

وأغلقوا باب المطبخ على هانيبال وقبلت مس مولينز كأسا من الخمر ، وبعد أن زودت مس بيرسفورد ببعض النصائح بخصوص الحديقة نظرت الى ساعتها ثم قالت انه لابد لها من الانصراف وأردفت :

- ان لدى موعدا هاما ولا أريد أن أتأخر .

وبعد وداع سريع استأذنت فى الانصراف . وقالت توبنس بعد أن رحلت :

- يبدو أنها امرأة طيبة .

قال تومى دون أن يورط نفسه :- نعم . ولكن أحدا لا يدرى أبدا .

- قد نستطيع أن نستعلم عنها .

- سوف نرى ذلك . ولكن لاريب انك متعبة بعد هذه النزهة فى الحديقة ، وأنت تعلمين أن الطبيب وصف لك الراحة .

***

١٤

قال مستر بيرسفورد :- هل فهمت جيدا يا البيرت ؟

كان موجودا بالمطبخ حيث كان الخادم يقوم بتنظيف الصينية التى جاء بها من غرفة توبنس . وأجاب البيرت :

- نعم يا سيدى .

- على أننى أظن أن هانبيال سيبادر بانذارك .

- ليس هذا دوره . انه ليس من هؤلاء الكلاب الذين يرحبون باللصوص ويهزون ذيولهم أمام كل من هب ودب .

- اننى فهمت جيدا يا سيدى . ولكن ماذا أفعل لو أن السيدة .. هل يجب أن أتبع تعليماتها أو أن أطلعها على ما قلت لى و ..

- يجب أن تكون لبقا .. سأنصحها بأن تلزم غرفتها اليوم ، واننى أعهد بها اليك..

تحول البيرت لحظة لكى يفتح الباب ، وتقدم رجل لا يزال فى طور الشباب يلبس بذلة من التويد ، وعلى شفتيه ابتسامة وقال يخاطب تومى :

- مستر بيرسفورد .. علمت أنك تبحث عن بستانى .. انك لا تقيم هنا منذ وقت طويل ، أليس كذلك ؟ فقد لاحظت وأنا أمشى فى الطرقة التى أمام البيت أن العشب بدأ يكسوها ، وقد اشتغلت فيما سبق عند .. مستر سولومون ، وأظنك سمعت عنه .

- مستر سولومون ؟ .. آه .. نعم . ذكروا اسمه أمامى ذات مرة .

- اسمى كريسبين . أنجوس كريسبين ، هل تريد أن نلقى نظرة لكى أعرف ما يجب على عمله اذا قبلت أن تلحقنى بهذا العمل .. قد أزف الوقت كى نهتم .. بهذه الحديقة..

قال مستر بيرسفورد :- أظن انهم كانوا يزرعون الاسباناخ فى هذا المكان فيما سبق وبعده بقليل الحميض ثم الشمام .

- يبدو أنك على علم تام بما كان يزرعه الملاك السابقون .

- بل عرفت ذلك من اسحاق العجوز . ثم اننا ، كما تعرف نسمع الكثير عما يجرى هنا فى وقت من الأوقات ، وتتحدث السيدات المسنات عن أحواض الزهور كما تحدث الكسندر باركنسون عن القمعية التى كانت تنمو بجوار الاسباناخ .

- لا ريب انه كان فتى ذكيا .

- لم يكن يفتقر الى الأفكار على كل حال ، وكان يهتم بالجريمة . كتب رسالة بالشفرة وضعها فى احدى روايات ستيفنسون : السهم الأسود .

- رواية مثيرة .. قرأتها منذ سنوات .. فى الوقت الذى كنت أشتغل فيه عند مستر ..

- سولومون ؟

- هو ذلك . وقد عنى اسحاق بودليكوت بحديقتك بعض الوقت ، أليس كذلك ؟

- منذ أن قدمنا الى المنطقة .. وكان مدهشا بالنسبة لسنه . كان يعرف أشياء كثيرة .

- لاريب انه حدثك لأنه كان يطيب له أن يتحدث عن الماضى .

- أوه ، نعم . ولكن يبدو أن كل ما قاله الان لا يزيد عن بضعة أسماء تبرز من أغوار الماضى ، وهى أسماء لا تعنى شيئا تقريبا بالنسبة لنا . ومع ذلك فان زوجتى دونت قائمة وانا نفسى جمعت بعض المعلومات ..

- من أى نوع ؟

- بخصوص احصاء بأسماء جميع الأشخاص الذين قضوا الليل هنا أثناء حفلة أقامها آل باركنسون .

- هذه المنطقة هامة يمكن أن يكون لها معناها .. هل استقر بكما المقام ؟

- نعم . ولكن من الجائز ان ننتقل الى مسكن آخر .

- ومع ذلك فان لك بيتا جميلا ، ويمكن أن تتعهد الحديقة لكى ترفع وتزدهر خاصة وسط هذه الأشجار ولكن يجب أن نشذ بها ونقلمها أولا . لا أفهم ما الذى يضطركما الى هجر هذا البيت والرحيل .

- ان ذكريات الماضى هنا ليست جميلة .. حسبنا فى البداية انه ليس لكل هذا أهمية وانه لا يجب أن نبالى به ولكن يبدو أن الماضى يظهر لنا فى كل مرة نذكره فيها.

هل أنت مستعد للقيام بقليل من ..

- قليل من الفلاحة ؟ .. طبعا . هذا يهمنى لأنه هو العمل الذى يطيب لى .

- جاءت امرأة تدعى مس مولينز أمس تعرض علينا خدماتها .

- مولينز .. مولينز .

- أرسلتها الينا مس جريفين .

- هل تفاهمت معها ؟

- ليس تماما . ولكن اتفق ان لدينا كلب صيد متحمس .

- هذه الكلاب الصغيرة تبدى حماسا شديدا فى بعض الأحيان . أظن أنه يحافظ على مسز بيرسفورد جيدا وانه يتبعها فى كل مكان .

- هذا صحيح ، وهو على استعداد لتمزيق أى شخص يجرؤ على رفع يده عليها .

- ان هذه الحيوانات مدهشة .. ودودة ومخلصة وعنيده جدا .. ولها أسنان حادة . لعل من الأوفق أن أكون منه على حذر .

- أن هانيبال داخل البيت فى هذه اللحظة .

عاد مستر كريستى يقول فى لهجة حالمة :- مس مولينز .. نعم .. هذا مثير .

- ماذا تعنى ؟

- حسنا .. يبدو لى اننى أعرفها .. ولكن ليس بهذا الاسم .. أهى بين الخمسين والستين من العمر ؟

- نعم .. قوية الجسم ومتينة البناء ولها هيئة الرجال .

- أظن ان اسحاق قد حدثك عنها بلا ريب ، فقد سمعتهم يقولون انها عادت الى القرية ، ولكنها لم تعد منذ وقت طويل على كل حال .

- يبدو انك تعرف أشياء كثيرة عن القرية .. أكثر منى ..

- ولكن اسحاق كان يعرف أكثر منى . ان هؤلاء المسنين يثرثرون دائما بأشياء كثيرة .. وأغلبها أكاذيب ، ولكن نجد فيها فى بعض الاحيان أحداثا حقيقية تستند الى حقائق واقعية . نعم . كان اسحاق يعرف الكثير . لم لعله كان يعرف أكثر من اللازم .

- كان رجلا شهما بذل كل ما فى مقدوره من أجلنا وأود أن أكشف النقاب عن الذى قتله .

***

١٥

قالت مسز بيرسفورد : - أدخل .

أطل البيرت برأسه من الباب الموارب وقال :

أنها السيدة التى أقبلت فى اليوم السابق ياسيدتى . تريد أن تتحدث معك للحظة وقدأخبرتها بأنك لاتزالين فى الفراش ، وانني لست واثقا إذا كنت تستطيعين استقبالها .

- بل أستطيع ياألبيرت . دعها تصعد .

- كنت أقوم بإعداد قهوتك ياسيدتى .

- حسنا . أضف فنجانا . وهذا كل شئ . ضع الصينية فوق هذه المائدة ويمكنك أن تدخل مس مولينز بعدذلك .

- حسنا جدا ياسيدتى ... وهانيبال ؟ .. هل يجب أن أحبسه فى المطبخ؟

- أنه لايحب الحبس فى المطبخ كثيرا .. أدخله غرفة الحمام وأغلق الباب عليه .

وكأنما فهم هانيبال مايراد به فراح ينبح ، واضطر البيرت أن يجره جرا حتى غرفة الحمام .

وصاحت تورنس به :- اسكت .

كف هانيبال عن النباح ولكنه تمدد على بلاط الارضية وقائمتاه الأماميتان إلى الأمام وانفه على فجوة الباب وراح يزمجر .

وقالت مس مولينزوهى تدخل الغرفة :- لاأريد أن أضايقك ، ولكن خطر لى أنه فديسرك أن تقلبى صفحات هذا الكتاب . أنه يتحدث عن كل ماله صلة بالفلاحه وفيه نصائح ثمينه عن مختلف المزروعات التى يجب زرعها فى هذا الموسم من السنة ..... آه هذه مكرمة منك حقا .. أننى أقبل فنجانا من القهوة طواعية ... ولكن دعينى

أصب القهوة .. ان هذايتعذر عليك وأنت راقدة ... اننى اتساءل إذا .

ألقت مس مولينز نظرة إلى البيرت الذى كان يقدم لها مقعدا وقالت :-

- أشكرك ... ياالهى ! ... أهذا جرس الباب ؟

قال البيرت :- لابد أنه اللبان ... أو لعله صبى البقال .. فهذا يومه ... التمس المعذرة .

غادر الخادم الغرفة واغلق الباب خلفه فى عناية.وفى غرفة الحمام أطلق هانيبال زمجرة أخرى . وقالت توبنس وهى تبتسم :

- ان كلبنى شديد الغضب لأنه لايستطيع حضور حديثنا ... ولكنه يثير ضجة كبيرة حقا .

- كم قطعة من السكر يامسز بيرسفورد ؟

- قطعة واحدة من فضلك .

ملأت مس مولينز فنجانا وقالت توبنس :-

- لاتضيفى لبنا .

وضعت الزائرة الفنجان فوق المنضدة الصغيرة . واستدارت لكى تصب القهوة فى فنجانها ، ولكن قدمها تعثرت فجأة وأرادت أن تعتمد بيدهاعلى طاولةصغيرة ولكنها وقعت على ركبتيها وهى تطلق صيحة واجمة .

وسألتها توبنس :

- هل أصابك شئ ؟

- أوه ، كلا . ولكننى كسرت الاناء ... عثرت قدمى فى سجادة الفراش . يا الهى !

ما أغبانى ! ... لقد أنكسر هذا الاناء الجميل .. ماذا ستقولين عنى ؟

قالت توبنس وهى تنحنى قليلا خارج الفراش :

- كان يمكن ان يكون الضرر أكبر .. انه انكسر الى قطعتين ويمكن لصقه ، ولن يلحظ أحد مكان الكسر تقريبا .

- ولكنتى شديدة الأسى ... أعرف أنك ماتزالين متعبة . لم يكن يجب أن أحضر اليوم ، ولكنتى أردت أن أقول لك ...

وراح هانيبال ينبح . وقالت مس مولينز :

- مسكين هانبيال ! .. هل تريدين أن أطلقه ؟

- بل من الاوفق ان لا تفعلى ... انه يثير المضايقات دائما .

- أوه .. الجرس مرة أخر .

- كلا ... أنه جرس التليفون هذه المرة .

- هل أذهب وأرد ؟

- سيهتم البيرت بذلك . وسيأتينى بالرسالة اذا كانت ضرورية .

ولكن تومى هو الذى أقبل لكى يرد وقال :

- آلو ... من ؟ ... آه ، نعم . سنتخذ الاجراءات اللازمة ... نعم ... أشكرك .

وأعاد السماعة ورفع عينيه الى زميله الواقف بجواره وسأله مستر كريسبين :

- أهو انذار ؟

أجابه تومى وهو لا يزال يحدق فيه :

- نعم .

- من المتعذر فى بعض الاحيان ان يميز المرء بين الصديق والعدو ، أليس كذلك ؟

- وعندما نتمكن من ذلك أخيرا يكون السيف قد سبق العذل ... باب القدر ... كهف ...

نظر مستر كريسبين اليه فى دهشة وقال تومى :

- معذرة . لا أدرى لماذا اعتدنا ذكر قصائد الشعر فى هذا البيت فى كل وقت .

- هذه قصيدة فليكر ، أليس كذلك ؟ .. ابواب دمشق .

- هلم بنا نصعد . ان زوجتى تستجم ولكنها ليست مريضة .

قال البيرت وهو يخرج من المطبخ :

- صعدت بالقهوة الى غرفة سيدتى وأضفت فنجانا آخر لمس مولينز ، وهى معها فوق ، وقد جاءت بكتاب عن فلاحة البساتين .

- هذا حسن يا البيرت . وأين هانيبال ؟

- انه فى غرفة الحمام يا سيدى .

- أرجو ان لا تكون قد أغلقت عليه الباب بالمفتاح فان هذا لن يطيب له أبدا .

- كلا يا سيدى . فعلت كما قلت لى تماما .

صعد تومى السلم يتبعه مستر كريسبين . وطرق الباب فى صوت خافت ودخل ، وفى غرفة الحمام نبح هانيبال مرتين أو ثلاثا وهجم على الأكرة . واندفع الى الخارج . وبعد ان ألقى نظرة سريعة على مستر كريسبين هجم على مس مولينز وهو يزمجر غضبا . وصاحت تونس :

- أوه ، يا الهى !

قال تومى وهو يلتفت الى مستر كريسبين :

- انه كلب شجاع .

- انه يعرف اعداءه واعداءك .

قالت تونس :

- هل عضك يامس مولينز ؟

كانت العانس قد وقعت على الأرض فنهضت فى مشقة وهى ترمى هانيبال بنظرة شذراء وقالت :

- نعم .. عضة بشعة .

قال تومى :

- للمرة الثانية ؟ ... أليس كذلك ؟

وقال مستر كريسبين :

- انه كلب ذكى ... ما رأيك يا عزيزتى دودو ...لم أراك منذ وقت طويل .

نظرت مس مولينز الى توبنس ثم الى تومى وكريسبين . وقال هذا الأخير :

- مولينز ، ألتمس المعذرة لأنى لم أكن أعرف انك غيرت اسمك ... ولكن هل اتخذت هذا الاسم أخيرا ؟

- أنا ايريس مولينز كما أنا دائما .

- لم أكن أعرفك بهذا الاسم ... ولكن لا أهمية لهذا ... يسرنى أن أراك على كل حال .

أظن من الاوفق أن نخرج من هنا الآن .

وتحول مستر كريسبين الى توبنس وقال :

- مسز بيرسفورد .. أقدم اليك تحياتى ، واذا سمحت لى أن أقدم اليك نصيحة فلا تشربى هذه القهوة .

تقدمت مس مولينز خطوة الى الامام مسرعة وفى نيتها أن تأخذ الفنجان ولكن مستر كريسبين كان أسرع منها فقال :

- كلا يا عزيزتى دودو .. دعى هذا .. سأتكفل أنا به ... لان من المهم جدا أن نحلل محتوياته .. لاريب انك وضعت فيه كمية من السم . وقد كان من السهل عليك أن تدسيه فى فنجان مسز بيرسفورد خلسة .

- هل أنت مجنون ؟ .. لم أفعل شيئا من هذا .. أوه .. ولكن أبعد هذا الكلب اللعين .

كان هانبيال يحاول أن يدفع مس مولينز نحو السلم فقال تومى :- انه يريد أن

تغادرى البيت . وهو متمسك بهذا حقا . يجب أن أقول لك انه مولع بعض الناس وهم يخرجون . آه .. أهذا أنت يا ألبيرت ؟ .. كنت أعرف أنك وراء الباب هل رأيت ما حدث ؟

كان الخادم الوفى قد ظهر بباب غرفة الحمام فقال :- اننى رأيت كل شئ يا سيدى ان هذه المرأة وضعت شيئا فى فنجان سيدتى ، خلسة دون أن يلحظ أحد ، ولكن حركتها لم تفلت منى .

قالت مس مولينز :- لا أدرى ماذا تعنى .. اننى .. أوه ، يجب أن أنصرف انى على موعد هام .

وأسرعت خارج الغرفة وهى تنطق بذلك ، واندفع هانيبال خلفها . وأسرع مستر كريسبين وراءها هو الآخر . وقالت توبنس :

- أرجو أن تسرع لأنها اذا لم تفعل فان هانيبال سينشب أنيابه فى ساقيها .

واقترب تومى من زوجته وقال :- لا تلمسى هذا الفنجان قبل أن نضع فيه قنينة لارسالها الى المعمل . هلمى بنا الى الصالون الان لكى نتناول كأسا من الكوكتيل قبل الافطار .

- أظن اننا لن نعرف معنى كل هذا أبدا .

هزت توبنس رأسها فى اعياء ونهضت لكى تقترب من المدفأة . وقال تومى :

- هلا وضعت بعض الحطب فى النار ؟ .. ولكن سأضعها أنا فقد تصحوك بالتزام الراحة .

- رباه .. ان كتفى على ما يرام .. لم يكن غير جرح بسيط .

- بل جرح حرب .. انتما نجونا من مس مولينز على كل حال .

- لقد تفوق هانيبال حقا .

- نعم . ان له حاسة لا تخطئ .

- هذا صحيح . هل قال لك مستر كريسبين شيئا ؟ أظن ان هذا الاسم ليس اسمه على كل حال .

- هذا جائز .

- أين هو الآن ؟

- لاريب انه مهتم الان بتلك العزيزة مس مولينز .

هل تدرى ان كل هذه الاحداث جعلتنى أشعر بالجوع . لا شئ فى العالم كله الان يساوى طبقا من السمك وسلطة كارى .

- يسرنى أن أسمع ذلك ، فهذا يثبت انك شفيت تماما .

- لم أكن مريضة أبدا .. كنت جريحة فحسب ، وهذا أمر مختلف .

- هل رأيت مس مولينز أو دودو كما يدعوها مستر كريسبين تضع شيئا فى فنجانك ؟

- كلا أعترف بأننى لم ألحظ شيئا .. انها تظاهرت بأنها تعثرت فى السجادة وقلبت المنضدة ثم راحت تعتذر . وكنت أحدق فى الأناء الذى أنكسر لكى أتأكد اذا كان من الممكن اصلاحه ، ولهذا لم أر شيئا مما فعلته .

- لحسن الحظ ان هذا الشهم البيرت رأى كل شئ .

- اننى أتساءل كيف يمكن أن تكون هناك صلة بين مس مولينز ومارى جوردان التى ماتت منذ أكثر من ستين عاما ، أو بينها وبين جوناتان كينى الذى طواه الماضى هو الآخر .

- لم يطوه الماضى فحسب لان فى مقدوره أن يعود الى الحياة اذا جاز لى هذا القول. ان فى الدنيا عددا كبيرا من الشباب ديدنهم العنف يتحسرون على عهد هتلر وخلقائه .

- اننى فرغت من قراءة امكوت هانيبال تأليف ستانى ويمان ، وهو من أروع كتبه ،

وقد وجدته بين كتب الكسندر باركنسون .

- حسنا .

- رأيت أن الامر لا يزال هكذا فى وقتنا هذا وانه كان هكذا دائما . فكر فى كل هؤلاء الصبية الذين سافروا وهم يهتزون سرورا ويشمخون بأنوفهم كبرياء ظنا منهم أن الله اختارهم لتحرير أورشليم وان البحر سيتفتح أمامهم كما تفتح أمام موسى . واذا بهم يساقون قسرا ويباعون عبيدا أرقاء .. انظر الى هذه الفتيات الجميلات وهؤلاء الشبان الذين يمثلون أمام المحكمة لأنهم قتلوا أمرأة مسنة لكى يسرقوا أموالها .. ومذبحة بارتيلمى .. ان كل هذه الفظائع تتكرر ولكننى أظن أن ما أحد سيخبرنا بما حدث حقا .. هل تظن أن مستر كريسبين سيهتدى الى المخبأ الذى لم يهتد أحد اليه حتى اليوم . وهل يعود الى هولوكاى بعد ان يفرغ من هذه القضية ليحافظ على .. وعليك يا تومى ؟

- لست محتاجا الى أن يحافظ على أحد .

قالت توينس :- هذا غرور .

- أظن أنه سيأتى يودعنا ويتأكد أن كل شئ على ما يرام ، وهذا كل شئ .

صلصل جرس الباب فاندفع هانيبال مكشرا عن أنيابه على استعداد للهجوم على أى شخص يدخل دون استئذان . وخرج تومى لحظة ثم عاد ومعه رسالة :

- أنها باسمنا نحن معا .. فهل أقصها ؟

- طبعا ..

وقال بعد لحظات :- حسنا . هذا يفتح أمامنا آفاقا جديدة .

- ماذا تعنى ؟

- دعوة للعشاء من مستر روبنسون لأى يوم من أيام الاسبوع المقبل .. وهو يقول بمجرد أن يتم شفاؤك .

- هل تظن انه سيطلعنا على شئ ما ؟

- هذا محتمل .

- هل يجب أن آخذ قائمتى معى ؟ .. مهما يكن فاننى أعرفها الان عن ظهر قلب وراحت تقول :- السهم الأسود ، الكسندر باركنسون ، أوكسفورد وكامبريدج ، لوهنجرين ، كاى كاى ، بطن ماتيلد ، قابيل وهابيل وترولوف ..

- كفى أرجوك . كل هذا يبدو لا معنى له اطلاقا .

- هل سيكون هناك مدعوون آخرون عند روبنسون ؟

- ربما نجد الكولونيل بيكواى .

- سأتزود ببعض الأقراص المضادة للسعال اذن .. مهما يكن فاننى أتمسك بأن أرى مستر روبنسون .. لا أستطيع أن أصدق انه من الضخامة كما تقول أوه .. ولكن ديبورا قادمة فى الاسبوع القادم هى والأولاد .

- كلا . انها قادمة فى عطلة هذا الاسبوع .

- الحمد لله . كل شئ على ما يرام اذن .

* * *

١٦

- أهذه هى العربة ؟

أسرعت توبنس خارج البيت ونظرت الى الطرقة فى قلق فى انتظار ابنتها ديبورا وأولادها الثلاثة . وظهر البيرت على عتبة المطبخ وقال :

- كلا يا سيدتى . كان هذا صبى البدال . هل تصدقين ان البيض زاد سعره ثانية ؟

لن أدلى بصوت بعد ذلك لهذه الحكومة . سأصوت مع الاحرار فى الانتخابات القادمة .

- هل تريد أن أساعدك فى اعداد مربى الراوند هذه الليلة ؟

- انى فرغت من اعدادها يا سيدتى . لقد رأيتك وأنت تعملين فى المرة الماضية وأعددتها كما أعددت أنت تماما .

- انك ستكون طاهيا ممتازا . ان مربى الراوند هى الطبق الذى تفضله جانيت ، وبهذه المناسبة ، هل فرغت من اعداد الغرف ؟

- نعم يا سيدتى . فقد جاءت مسز شاكلبرى مبكرة صباح اليوم .

تنهدت توبنس فى ارتياح لمجرد أن كل شئ على ما يرام فى انتظار قدوم أسرتها .

وفى نفس اللحظة دوى بوق سيارة وظهرت عربة تومى فى اول المنحنى ، وبعد دقيقة كان الجميع عند الباب . ديبورا ، جميلة كما هى على الرغم من أنها تجاوزت الاربعين وابنها اندرو ، وهو صبى فى الخامسة عشرة من عمره وابنتيها جانيت و روزالى والأولى فى الحادية عشرة والثانية فى السابعة .

وصاح الصبى :- صباح الخير .

وقالت جانيت :- أين هانيبال ؟

وقالت روزالى وهى توشك على البكاء :- أريد أن آكل .

وفى أثناء ذلك كان البيرت ينزل الحقائب وصندوقا به ببغاء ووعاء بلوريا فيه سمكة حمراء .

وقالت ديبورا وهى تعانق أمها :- ها هو ذا البيت الجديد اذن !

وقالت جانيت :- هل نستطيع أن نرى الحديقة ؟

أجاب تومى :- بعد تناول الشاى يا عزيزتى .

وعادت روزالى تقول :- أريد أن آكل .

ومضى الجميع الى غرفة الطعام حيث قدم البيرت الشاى واليسكويت وبعد ذلك خرج الأولاد للتفرج على الحديقة تحت حراسة هانيبال وقالت ديبورا :

- ما هذه القصة التى سمعتها يا أمى .. ماذا فعلت ثانية ؟

- يا الهى ! .. اننا استمتعنا بالمنزل الجديد بقدر استطاعتنا .

بدت الابنة غير مقتنعة وخاطبت أمها قائلة :- انك فعلت شيئا جديدا يا أمى . أليس كذلك ؟ .. قمت بدور مسز بلنكينسوب ثانية . المزمع معك أن ما من أحد يستطيع احتجازك . ان أخى ديريك هو الذى سمع عن ذلك وبادر باطلاعى على كل شئ .

- وكيف عرف ؟

- تعرفين أنه يدير امره دائما لكى يعلم بكل شئ .

وتحولت ديبورا الي أبيها وقالت :- وأنت أيضا اشتركت فى هذه المسألة يا أبى . كنت أظن أنكما انتقلتما هنا لكى تعيشا فى هدوء .

قال تومى :- تلك كانت نيتنا ولكن القدر أراد غير ذلك .

تمتمت تونس :- باب القدر .. القافلة الملعونة .. قلعة الخوف .

قال اندرو كان قد عاد منذ لحظة :- فليكر !

كان يهوى الشعر ويتوق أن يصبح شاعرا ذات يوم وراح يقول عن ظهر قلب :

أجاب مستر بيرسفورد وهو يخرج ورقة من جيبه :

- سأذكر لك بضعة أسباب يا ربيى ...

وراح يقرأ فى صوت مرتفع :

السهم الأسود .

الكسندر باركنسون .

أوكسفورد وكامبريدج .

لوهنجرين .

كاى كاى .

بطن ماتيلد .

قابيل وهابيل .

ترولوف ..

قالت تونس :

- كفى يا تومى ... هذه قائمتى أنا ولا شأن لك بها .

وقالت جانيت :

- ولكن ما معنى هذا .

قال اندرو :

- انها أشبه بقائمة أدلة فى رواية بوليسية .

وكان اندرو لا يزدرى هذا النوع من الأدب عندما يغتر اهتمامه بالشعر .

وقال تومى فى توكيد :

- هى قائمة أدلة طبعا . وهذا هو السبب فى اننا قد نبحث عن بيت جديد .

عادت جانيت تقول :

- ولكننى أحب هذا البيت .

وقالت روزالى :

- نعم . انه بيت جميل ... أريد بعضا من البسكويت .

وقال اندرو فى لهجة كأنه ملك :

- وهو يروق لى أنا الآخر .

وقالت جانيت :

- لماذا لا تحبينه يا جدتى ؟

صاحت توبنس فى حماس غير متوقع :

- ولكننى أحبه .. أحبه وأريد أن أعيش فيه .

تمتم اندرو :

- باب القدر .

- وسنطلق عليه اسمه القديم ... عش عصفور الجنة .

وقال اندرو :- انك تستطيعين ان تكتبى قصة مسترشدة بهذه القائمة .

قالت أمه :- ستكون قصة معقدة جدا ... من ذا الذى يقرأ كتابا كهذا ؟

- ستستغربين لو تعرفين كم من القراء سيلتهمونه ويحبونه .

تبادل تومى وتوبنس النظر . وسأل اندرو :

- ألا يمكننى أن أجد قليلا من الطلاء غدا ؟ ... سيسعادنى البيرت وسنكتب الاسم الجديد على اللافتة .

قالت جانيت وهى ترفع عينيها نحو أمها :

- وبهذا تعرف عصافير الجنة . انها تستطيع العودة فى الصيف القادم .

قال تومى وهو ينحنى أمام ابنته :

- هكذا تريد الملكة !

* * *

١٧

غادر المدعوون غرفة الطعام وانتقلوا الى غرفة المكتبة لاحتساء القهوة .

كان مستر روبنسون ببشرته الزيتونية يبدو أكثر ضخامة مما تصورت توبنس ، وكان يبتسم خلف ابريق الشاى . أما مستر كريسبين الذى اتضح ان اسمه الحقيقى هورشام فقد جلس بجواره قى حين جلس الكولونيل بيكواس بجوار تومى .

وقدم هذا الأخير سيجارة الى الكولونيل فى شئ من الشرود ولكن الكولونيل رفضها قائلا :

– كلا . شكرا ... اننى لا أدخن ابدا بعد العشاء .

تمتمت مس كولودون :

– ما أغرب هذا ؟

ثم تحولت الى توبنس وقالت :

– ان كلبك هذا مدرب وذكى .

كان هانيبال راقدا فوق السجادة وقد ألقى برأسه فوق قدم سيدته ، ورفع عينيه فى هيئة ملائكية وهز ذيله فى هدوء . وقال مستر روبنسون وهو يلقى نظرة الى توبنس :

– ولكننى فهمت أنه شرس بوجه خاص .

قال مستر كريسبين ، هورشام سابقا :

– كان يجب ان تراه فى الميدان .

وقالت مسز بيرسفورد :

– ولكنه يعرف كيف يحسن السلوك عندما يخرج لتناول عشائه ... انه يعبد ذلك لأنه يحس عندئذ انه كلب محظوظ يخالط علية القوم .

وقالت توجه الحديث الى مستر روبنسون بالذات :

- أنك كنت كريما حقا اذ دعوته وقدمت له هذا الطبق من الكبد ... انه مولع به حقا .

- كلا الكلاب تحب الكبد .

ألقى مستر روبنسون نظرة الى مستر هورشام واستطرد :

- أظن انه اذا كان ولابد ان أزور مسز بيرسفورد فى بيتها فاننى قد اتعرض لان يزقنى اربا .

- من المؤكد ان هانبيال يحمل واجباته محمل الجد ، فهو كلب حراسة مدرب ولا ينسى أبدا الدور الذى يجب أن يقوم به .

- وبصفتك من ضباط الأمن يجب ان تدرك مشاعره طبعا وان تقدرها .

رمى روبنسون هورشام بنظرة متخابثة ثم تحول من جديد الى توبنس وقال :

- انك قمت أنت وزوجك بعمل رائع ، يا مسز بيرسفورد . ونحن مدينون لكما كثيرا ، وقد ذكر لى الكولونيل بيكواس انه لولاكما لما انتهينا من هذه القضية .

أجابت السيدة العجوز فى ارتباك :

- يا الهى ! ... اتفق اننى ... اننى أبديت شيئا من الفضول فى البداية ، وتمنيت بعد ذلك أن اكتشف شيئا ما .

- هذا ما فهمته طبعا ، وربما يدفعك الفضول الآن الى معرفة حقيقة المسألة .

قالت توبنس فى ارتباك زائد :

- طبعا . ولكننى أظن ان كل هذا يجب ان يبقى سرا بيننا وان من الأوفق ان لا نلقى أى سؤال .

- ولكننى أريد أن ألقى سؤالا ، وأكون سعيدا جدا اذا زودتمانى بما أريد من معلومات .

اتسعت عينا مسز بيرسفورد دهشة وقالت :

- لا أستطيع أن أصدق ..

- ذكر لى زوجك انك كتبت قائمة غريبة ولكنه لم يحدد لى نوعيتها ، وكان على حق لأن هذه القائمة ملكك الخاص . ولكننى أعرف أنا الآخر كيف تكون حالة المرء اذا ما استبد به الفضول .

لزمت توبنس الصمت لحظة ثم قالت :

- ان هذه القائمة سخيفة تماما ... والحق انها أكثر من سخيفة ... انها شئ غير معقول .

- قال هانز ساكس فى الاوبريت الشهيرة التى ألفها :

" ان الدنيا بأسرها شئ غير معقول " ، وهو على حق فى قوله هذا .

وأخذ الورقة التى ناولته مسز بيرسفورد اياها قائلة :

- يمكنك أن تقرأها بصوت عال .

جرى مستر روبنسون على القائمة بعينيه ثم اعطاها لمستر هورشام قائلا :

- انجوس ... ان لك صوتا أقوى من صوتى .

راح هورشام يقرأ فى بطء :

- السهم الاسود .

- مارى جوردان لم تمت ميتة طبيعية .

- أكسفورد وكامبريدج .

- لوهنجرين .

- كاى كاى .

- بطن ماتيلد .

- قاييل وهابيل .

- تروللوف ...

وأمسك عن القراءة وألقى نظرة الى مستر روبنسون ، وتحول هذا الأخير الى توبنس وقال :

- اسمحى لى أن أهنئك يا عزيزتى مسز بيرسفورد . ان لك ذهنا يخرج عن المألوف. تنطلقين من هذه النقاط وتكتشفين كل هذه الاكتشافات ... ان كل هذا ليدل على ذكاء ومقدرة كبيرين .

- لقد ساعدنى تومى كثيرا .

قال تومى :

- لانك ضايقتنى كثيرا .

وقال الكولونيل بيكواس مؤكدا :

- الحق ان مستر بيرسفورد قام بأبحاث كثيرة .

وقال تومى مدققا :

- تاريخ يوم الاحصاء كان نقطة هامة بالنسبة لنا .

وعاد مستر روبسنون يقول وهو يرمى توبنس بابتسامة :

- مهما يكن من أمر فأنتما موهوبان ، ومازلت أصر ، على الرغم من انكما لاتبديان أى فضول ، انما تتمنيان معرفة حقيقة القضية .

- هل ستخبرنا حقا ؟ .. هذا رائع .

- بدأت القضية كما حدثتماني فى عصر آل باركنسون ، أى منذ وقت طويل ... كانت احدى جداتى من آل باركنسون ، ومنها عرفت بعض النقاط فى البداية .

وكانت المدعوة مارى جوردان من معارفنا . وكانت من أصل نمساوى ، من ناحية الأم وكانت تتكلم الألمانية بطلاقة .

ولعلكما تعرفان ان بعض المستندات الرسمية ستعلن رسميا عن قريب ... فنحن نعرف انه اذا كانت السرية ضرورية فى بعض الاوقات وفى بعض العصور الا أنه لا

يجب ان تظل فى طى الكتمان الى الابد . وهناك فى الملفات بعض الأمور يجب اذاعتها لأنها جزء من تاريخ بلدنا . وسننشر ثلاثة أو أربعة أجزاء خلال الشهرين القادمين .

" وما حدث فى عض عصفور الجنة ، وهذا هو الاسم القديم للبيت الذى تقيمان فيه سينشر فى أحد هذه الأجزاء .

كان فى تلك القضية بعض الساسة ممن لهم نفوذ، وكان العالم يضع ثقته فيهم ، وكان هناك رجلان أو ثلاثة من رجال الصحافة لهم نفوذ كبيرهم الآخرون ويستخدمونه بكل تهور ... شخصيات كانت ، قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى ، تتآمر ضد بلادهم بالذات .

" وقبل الحرب الأخيرة رأينا شبانا يخرجون من الجامعات ، وكانوا ، خفية عن الجميع ، أنصارا متحمسين بلا أعضاء عاملين بالحزب الشيوعى . وأسوأ من هذا كانت النازية تكتسح الطريق ببرنامج يتوقع تحالفا محتملا مع هتلر الذى أظهروه كصديق للسلام .

" هذه الأشياء سبق ان وقعت خلال التاريخ وستقع من جديد بدون شك : طابور خامس عملى وخطر فى نفس الوقت يقوده الذين يؤمنون به وكذلك الذين يحاولون كسبا جوهريا أو يهدفون الى الاستيلاء على السلطة فى مستقبل قريب . وقد سمعناهم كثيرا ينطقون بحسن نية بعبارات من هذا النوع : ب. العجوز ... خائن ؟ هذا غير معقول . انه جدير بكل ثقة وهو آخر من يفكر فى خيانة بلده .

انها نفس الحكاية القديمة دائما . فى دنيا التجارة وفى خدمة الحكومة وفى الحياة السياسية هناك شخص دائما يحبه الناس ويولونه ثقتهم ... فى حين انه دائما شخص آخر .

" والقرية التى أقمتما فيها أنت وزوجك يا مسز بيرسفورد كانت قد أصبحت قبل

الحرب العالمية الأولى مقرا عاما لجماعة معينة . وكانت قبل ذلك قرية هادئة يسكنها قوم ظلوا يسكنون فيها ، وأغلبهم كانوا يشتغلون فى الميناء ، أى من أجل الجيش . وكان بينهم ضابط بحرى سليل أسرة محترمة ، كان أبوه أميرالا ، وكان هو طبيبا قديرا يحبه مرضاه ويبثونه مشاكلهم طواعية . ولم يكن أحد منهم يعرف طبعا انه خبير فى الحرب الكيماوية وخاصة فى الغازات السامة .

وفيما بعد وقبل الحرب الثانية كان رجل يدعى كين يقيم فى بيت جميل على مقربة من الميناء وكان يدين بمبدأ سياسى معين . لم يكن نازيا ، وكان ينكر ذلك بكل ما أوتى من قوة ، ويقول انه لا يريد الا السلام قبل كل شئ . ومما يؤسف له ان ذلك المبدأ راح ينمو ويزداد واكتسب اتباعا ومشايعين فى جميع الانحاء .

ولكن ليس فى هذا أى شئ مما تريدان معرفته حقا يا مسز بيرسفورد ، وأنا مدرك هذا تماما ، ولكن لابد لنا من ان نلقى نظرة على مجموع الاشياء أولا ، وهو مجموع نفذ بكل دقة .

ارسلت مارى جوردان اذن الى ذلك البيت الصغير فى هولوكاى فى مهمة خاصة فى محاولة لاكتشاف ما يدور . كان اسمها الحقيقى مارى وان كانوا يدعونها فى بعض الاحيان باسم موللى . ولم أعرفها أنا طبعا معرفة شخصية ، فلم أكن قد ولدت بعد عندما ماتت . ولكننى وانا أقلب بعض ملفات ذلك العهد أعجبت جدا بالعمل الذى قامت به من أجلنا ، ووددت لو أننى عرفتها لأنها كانت تتمتع بشخصية ومقدرة عجيبتين حقا ، وكان موتها السابق لأوانه مأساة حقيقية " .

وبينما كان مستر روبنسون يتكلم رفعت توبنس عينيها الى صورة معلقة لصق الحائط . كانت صورة لرأس صبى مرسومة باليد . وقال مستر روبنسون :

– هذه صورة الكسندر روبنسون عندما بلغ الثانية عشرة من عمره . كان حفيدا لاحدى جداتى ، وقد التحقت موللى بخدمة آل باركنسون كمشرفة ، وكان يبدو أن هذه

الوظيفة تمكنها من مراقبة ما يدور ، وما كان يخطر ببال أحد أن تنتهى الأمور بمثل هذه الصورة المفجعة .

– أوه .. كلا . لم يتورط آل باركسنون فى هذه المسألة أبدا . ولكن كان هناك أشخاص آخرون : أصدقاء مودعون قضوا تلك الليلة فى البيت ، وقد اكتشف زوجك ان تعدادا تم فى نهار ذلك اليوم ، ومعنى ذلك ان اسماء جميع الأشخاص الذين كانوا موجودين فى البيت فى ذلك اليوم مدونة فى كشوفات رسمية . وبدا ان اسم شخص بالذات كان له معناه ، وهو اسم ابنة الطبيب الذى حدثتكما عنه منذ قليل ، وكانت قد أقبلت لزيارة أبيها كما كانت تفعل أحيانا ، وطلبت من آل باركنسون ان يضيفوها عندهم لأنها جاءت بصديقتين معها . ولم يكن هناك ما تؤاخذ صديقتاها عليه ولكن لوحظ فيما بعد أن أباها كان متورطا فى الاحداث التى كانت تدور فى ذلك الجزء من انجلترا .

وكانت الفتاة المذكورة قد ساعدت آل باركنسون قبل ذلك بأسابيع فى زراعة الحديقة، وهى التى دبرت أمرها لكى تزرع القمعية بجوار الاسباناخ والحميض ، وهى أيضا التى جمعت الأوراق المشئومة فى ذلك اليوم ، ونسب تسمم المدعوين الى احدى هذه الأخطاء التى غالبا ما تقع . وفى أثناء التحقيق فى وفاة مارى جوردان قال الطبيب انه سبق ان وجد نفسه فى حالة مشابهة ، وكانت شهادته سببا فى ان أصدر المحقق قراره بأن الموت وقع قضاء وقدرا . ولم يفطن أحد الى أهمية كأس كوكتيل تحطم فى مساء الليلة التى ماتت فيها مارى جوردان .

" ولعله يهمك يا مسز بيرسفورد ان تعرفى ان القصة كان يمكن ان تتكرر مرة أخرى والواقع انهم أطلقوا النار عليك منذ وقت قريب ، فى حديقتك . وبعد بضعة أيام من ذلك دست المرأة التى تطلق على نفسها اسم مولينز السم لك . ونتيجة التحليل لا تدع أى مجال للشك فى هذا الصدد ، وقد علمت بفضل التحقيق الذى أجراه مستر هورشام

ان هذه المرأة هى حفيدة الطبيب الذى تحدثنا عنه وانها كانت قبل الحرب الأخيرة من اتباع جوناتان كين المتحمسين ، وهذا هو السبب فى ان مستر هورشام كان يعرفها .

ويجب علينا الآن ان ندرس شخصية أكثر شوقا وأعتى بها شخصية ذلك الطبيب الخير الذى كان محبوبا من الجميع والذى كان السبب المباشر كما يبدو فى موت مارى جوردان . كان يبدى اهتماما كبيرا بالعلم ، وكانت له دراية تامة بالسموم ، وقام بتجارب عديدة فى البكتريولوجيات ، وكان لابد لنا من ستين عاما لكى نعرف هذه الحقائق ، أما فى ذلك الوقت فان الكسندر باركنسون هو الوحيد الذى راودته الشكوك..

– أكان الطبيب هو الذى اكتشف دور مارى جوردان ؟

– كلا . لم يكن قد شك فى أمرها حتى ذلك اليوم ، لأنها كانت ذكية وقد عرفت كيف تؤدى دورها تماما . وكان ربان الباخرة قد عمل كما توقعنا ، والمعلومات التى أعطتها له كانت حقيقية ، ولكنه لم يدرك انه لم تكن لها أية قيمة على عكس ما ذكرته له . أما الرسومات التى كان يعطيها لها فكانت تأتى بها الى لندن فى أيام عطلتها . وكان اللقاء بينها وبين ضابط الاتصال يتم عادة إما فى ريجنت بارك أو فى كنسنجتون جاردنز .

ولكن كل هذا بعيد جدا الآن يا مسز بيرسفورد ... بعيد جدا فى أغوار الماضى .

سعى الكولونيل بيكواس وتكلم بدوره فقال :

– ومع ذلك فان التاريخ يعيد نفسه ، والجميع يدركون ذلك ان آجلا وان عاجلا ... فقد تجمع مركز صغير فى هولوكاى حديثا ، وهذا يفسر لنا عودة مس مولينز . وقد استخدمت بعض المخابئ القديمة وتمت لقاءات سرية . ومرة أخرى لعب المال دوره . ولكن من أين يأتى وأين يذهب ؟ ... لجأنا عندئذ الى مقدرة مستر روبنسون لكى يكتشف لنا ذلك . ثم جاء صديقنا القديم مستر بيرسفورد لزيارتى ومعه معلومات أيدت

شكوكنا . ووضعنا مشروعا لاعداد مستقبل دقيق يديره رجل سياسى معروف ... رجل له نفوذ كبير يزداد كل يوم ويضم حوله أنصارا جددا ... رجلا معروف بالنزاهة وبتحمسه الشديد للسلام هو الآخر ... السلام للجميع والمكافآت الماليه لمن يقدمون العون .

اتسعت عينا توبنس دهشة وقالت :

– هل يجب ان أفهم ان كل هذا مازال مستمرا ؟

– طبعا . ولكننا نعرف تقريبا كل ماكنا نريد معرفته ، جزئيا بفضل مساهمتك انت وزوجك ، خاصة وان عملية جراحية معينة أجريت وأتت ثمارها .

صاحت توبنس :

– ماتيلدا ... يسرنى أن أسمع هذا ... اننى أكاد لا أصدق ذلك .

واستطرد الكولونيل :

– غريب أمر الخيول ! ... لا يدرى أحد ما تفعل أبدا ولا ما يدور برءوسها أو فى بطونها ... وذلك منذ عهد حصان طرواده .

– أظن أن ترولوف كانت مفيدة هى الأخرى . ولكن اذا كانت هذه القصة لم تنته حقا بالاولاد الموجودين فى البيت الآن ...

تدخل مستر هورشام عندئذ فقال :

– لا تقلقى يا مسز بيرسفورد . اننا طهرنا المكان الآن ، وأخلينا الوكر من الزنابير وفى مقدوركم أن تعيشوا فى هولوكاى فى أمان . لدينا من الأسباب ما يحملنا على الاعتقاد بأن هؤلاء القوم قد انتقلوا الى قرية بورى سانت دموندس ، ومهما يكن من أمر فاننا نراقبهم مراقبة شديدة ، وليس هناك ما تخشونه حقا .

تنهدت توبنس فى ارتياح وقالت :

– أشكرك اذ طمأنتنى فان ابنتى ديبورا جاءت لتمضى عندنا بضعة أيام هى

وأولادها .

وقال مستر روبنسون :

- الآن وقد فرغنا من توضيح كل شئ اقترح أن نشرب كأسا نخب مستر و مسز بيرسفورد امتنانا للخدمات التى قدماها لبلادنا .

شرب الجميع فى حماس وعاد مستر روبنسون يقول :

- فلنشرب كأسا آخر نخب هانيبال ، اذا سمحتم .

وكان الكلب قد فهم ، لأنه غادر مكانه بجوار مسز بيرسفورد ، وأسرع الى مستر روبنسون وراح يتمسح فيه وهو يهز ذيله طربا .

تم بحمد الله